البحث الخامس

الرابطة القوية (الميثاق الغليظ)

عوامل استمرار المودة والرحمة في الحياة الزوجية :

هذه الرابطة القوية (الزواج) التي بدأت بالعقد (في عالم المعاني) بعد أن تمت أمور الخطبة ثم ظهرت إلى الوجود (في عالم الواقع) كمثل الشجرة المثمرة ، بل كالبستان تبقى زاهية خضراء مثمرة، إن تعهدناها بالرعاية والعناية، وتذبل وتخبو وتصفرُّ أوراقها إن أُهْمِلَتْ ، وهذه الرابطة (الزواج) سمى الله سبحانه عقدها (ميثاقاً) ووصفه بأنه (غليظ) أي واثق شديد الوثوق فهو عقد وعهد قوي، لا يجوز توهينه ، وانظر إلى موقع هذه الصفة في الآية الكريمة في سورة النساء قال تعالى:﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج ، وآتيتم إحداهم قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾ الآية ٢٠ النساء.

وواضح أن الحق سبحانه يوصي بإعطاء المهر بكامله للمطلقة إذا أراد الرجل الزواج بغيرها، وهدد من يأكل منه شيئاً ينتقص به حق الزوجة ، كيف يأخذُهُ وقد أفضى إلى هذه الزوجة وكشف سترها ؟ وخلا معها ، وعاشرها معاشرة الأزواج ؟! وقد وقع هذا بعد أخذ الميثاق الغليظ (عقد الزواج) فكيف يَحِّل الأخذ من المهر دون رضاها .؟!

بعد هذا أقول : على من تقع مسؤولية إنماء رابطة الزواج وصيانتها ورعايتها هل هي على الزوج أم على الزوجة أم على كليهما معاً ؟!.

لقد قرأت كثيراً، وسمعت كثيراً من واقع الحياة عن حياة الأزواج السعداء والتعساء ، وكم كنت أُسَرُّ وأغتبِطُ ، ولا أزال، لسماع سيرة زوجين سعيدين ، تزهو حياتهما بالسرور وترتبط بالمودة والرحمة، ويعلم الله كم يزعجني ويؤلمني إطلاعي على حياة زوجين قد كادت أن تعصف بحياتهما الزوجية الخلافات والشقاق ، أو عصفت وهدمت الأسرة ، وشتت أفرادها..

لذلك عزيزي الزوجين، من أجل دوام المحبة والرحمة، واستمرار المودة والحنان.أكتب هذا الكتاب وبالأخص هذه الصفحات

وأقول : إن هناك أكثر من عامل، وأكثر من سبب ينمي المودة والرحمة بين الزوجين ويزيد المحبة والعاطفة عمقاً واستمراراً..

وأؤكد أن هذا يتحمله الزوجان ولا يعفى منه واحد منهما ، وإن كانت بعض العوامل يتحملها الرجل أكثر ، وبخاصة عندما يكون التقصير منه ، أو تكون الزوجة في حالة من التعب أو المرض أو كثرة الانشغال بأمور البيت والأولاد .

وإن من أعظم ما يحمله الزوجان هو مسؤولية استمرار الحياة الزوجية وصيانتها من التصدع والإنهيار والمحافظة على الأسرة وثمراتها من بنين وبنات قائمة على أصولها مترابطة فيما بينها ، ومراقبة الله سبحانه في كل عمل ، وكل تصرف وأنه المطلع على كل صغيرة وكبيرة وأن إليه المرجع والمآب وإنه هو الذي يجزي عن العمل إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر !!

وهذه المراقبة لله سبحانه مصدرها الإيمان بالله واليوم الآخر (العقيدة الإيمانية) والرجاء بما عند الله سبحانه من مثوبة والخوف مما لديه من عقوبة ، هذا الرجاء والخوف هو الذي يحمل الزوج على ألا يفرط في حق زوجتة وأولاده . ويستمر في إذكاء روح المودة والرحمة في البيت ليسعد هو وتسعد أسرته ، كما أن هذا يَنْهَضُ بالزوجة على ألا تقصر في الطاعة بالمعروف ، والسهر على المريض والعناية بالضعيف، والتحمل والتجمُّل، والصبر على الضراء والفقر ؛ إن أصاب زوجها ضيق ذات اليد، أو حَنَتْ ظهره السنون، وأضعفت جسمه وأقعدته الأمراض والأسقام ..

والمؤمن الذي يرجو ما عند الله من مثوبة لا يعمل في حياته رجاء مثوبة الناس ومكافأتهم له ، ولو كانت زوجته أو أولاده ؛ بل يعمل من أجل رضاء الله .. والمؤمنة الحرة العفيفة لا تقصر في الواجب ، ولا تعرض وتدير ظهرها لزوجها وأولادها إن أَلَمَّتْ بهم عوامل الدهر ، أو أقعدهم ضر أو فقر ، بل تلزم الصبر والشكر والدعاء وترجو ثواب الله سبحانه ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ وبالمقابل ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ سورة طه

١- فمن عوامل العناية والرعاية ، ومن أسس استمرار المودة والرحمة – لديك عزيزي الزوج :

١- أن تكون الكلمة الطيبة هي اللسان السائد بين الزوجين ، ومع الأولاد أيضاً وقد قال المعلم المربي ﷺ(الكلمة الطيبة صدقة) فهلا قلت لزوجتك كل يوم أو كلما احتاج الأمر كلمة طيبة، أأقول لك ما هي الكلمة الطيبة ؟ قل لها إني أحبك، مثلاً إني أهوى قوامك اللطيف ، قل لها إذا دخلت البيت وشممت رائحة طعام تحبه ؛ يا الله ما هذه الرائحة الطيبة ؟ وإذا

ذقت منه وأعجبك طعمه قلت : ما شاء الله ! ما ألذَّ هذا الطعام ؟! وإذا رأيت البيت نظيفاً رتيباً قلت : ما هذه الأناقة وما هذا الجمال ؟ سَلِمَتْ يداك . هل هذه الكلمة صعبة ؟ أم أن كبرياءَكَ يمنعك من هذا ؟

وإذا رأيتها بثوب جميل لبسته من أجلك ، أو من أجل ضيفاتها ؟ ألا يستدعيك هذا المنظر أن تقول لها سبحان الخالق ، لقد جَمَّلْتِ الثوبَ ، ما هذا الجمال ؟! فهل يعجزك بعض هذه الكلمات أن تقولها لها بين يوم وآخر ، وعندما تستجد مناسبة ؟ وقد قال المعلم المربي ﷺ إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره وليقل له إني أحبك ، أفلا تكون أولى الأحباب بهذه الكلمة شريكة الحياة ؟ وشقيقة الروح ؟ أفلا تحبها ؟ إذن فلا تبخل بها عليها بين الحين والآخر كلما لزم الأمر أن تقولها .

٢- هل حاولت أثناء جلوسكما على مائدة الطعام أن تضع لقمة في فمها ؟ والحبيب المصطفى ﷺ يقول لنا : (وما تضعه في فيِّ امرأتك صدقة) أم أنك تستحي من هذا ؟ وهذا لا يُستحى منه..

٣- هل رأيت في طريق عودتك إلى البيت حاجة تُحبُّها هي من طعام أو فاكهة ، فحملتها إلى البيت وقلت لها إني اشتهيت هذا لك ؟! أو رأيتَ ثوباً جميلاً ، داخلياً أو خارجياً فأحببته أن يكون على جسدها ففاجئتها به ؟

٤- هل قصَّرَتْ يوماً في حسن استقبالك خلافاً لعادتها كلما دخلت أنت إلى البيت،فغضضتَ الطرفَ عن هذا التقصير؟ أو تأخر الطعام فعاونتها في إعداده ؟ أو وجدتها متعبة مريضة لم تحضِرْ لك حاجةً وعدتك بها فتجاوزت عن ذلك وآنستها ولاطفتها كأنها فعلت لك ما تريد وزيادة ؟

٥- هل كانت تحدثك يوماً ما فأصغيت إلى حديثها مستحسناً ما تقول (إن كان حقاً) ومثنياً عليها غير مقاطع لها ؟ أم أنك تركتها وقمت إلى التلفزيون ، أو تناولت جريدة أو كتاباً ، معلناً في تصرفك هذا أنك لا تود السماع لحديثها ؟

٦- هل واسيتها وآنستها في مصيبة وقعت لأسرتها وأسرعت في المشاركة واعتبرت ذلك كأنه واقع في أسرتك وأحب الناس إليك ؟ أم أن هذا لا يخصك ؟

٧- هل استقبلت أمها وأكرمتها وأثنيت على تصرفها الجميل معك ولو كان فعلاً بسيطاً وقدرتها أمامها .

٨- هل كانت يوماً مريضة أو في العادة الشهرية ــ وهي مرض ــ فقمت ببعض أمور البيت عنها وأحضرت المائدة إلى جانب سريرها واعتنيت بها ؟

٩- وهل طلبت منك أن تنظر في أمر الأولاد فتعينها في مراقبتهم في عمل واجباتهم المدرسية أو تشرف على أيـــصالهم إلى المدرسة أو الروضة أو تعينها في تهيئة الصغار منهم في خروجهم إلى زيارة قريب أو نزهة ؟ أو مكان آخر ؟

١٠- وهل استمعت إليها بجد وهي تستشيرك وتحاورك في أمر تربيتهم ، أو حل مشكلة أحدهم ؟

١١- وهل تسامحها إن كانت أمية ، وتعلمها إن كانت قليلة العلم ، بسيطة التفكير والبداهة والنشاط ؟!

١٢- وهل وهل ...

٢- وهل فعلتِ أنتِ أيضاً هذا الذي ذكرته آنفاً لزوجك ؟ – عزيزتي الزوجة

١- هل قدمت له يوماً الطعام الذي يحب دون أن يطلبه ؟ وتعهدت ذلك في كل فترة وأخرى ؟

٢- هل فاجئته يوماً بهدية ولو بسيطة ، منديل جيب مثلاً ، قلم حبر ، قارورة عطر صغيرة ، وحرصت على هذا في المناسبات أو بين الحين والآخر ؟.

٣- هل شعرت يوماً أو أياماً أنه يريد الخلوة بك ففطنت إلى هذا قبل أن يتصرف تصرفاً يثير حفيظته أو يظهر غضبه فأسرعت إلى تهيئة الجو المناسب ؟

٤- هل حدثكِ يوماً عن حكاية قرأها أو قصة أعجب بها أو ما جرى مع بعض أصدقائه مستملحاً ذلك أو مستنكراً ، ففهمتِ المغزى من حكايته وعملتِ الذي يهواه ؟ أم أن هذه الحكاية مرت دون أن تشعري لماذا ساقها فأعادها يوماً آخر فهل أدركتِ لماذا أعادها ؟.

٥- إذا كان يحب نوم القيلولة فهل هيأت الجو المناسب لنومه ودَرَّبْتِ الأولاد على احترام راحة والدهم عندما يقيل نهاراً أو ينام ليلاً ؟

٦- سوف تحرصين كل الحرص على هندام أولادك ومظهرهم الجميل النظيف ولكنه يحب لهم في خروجهم معكما إلى زيارة الأسرة أو الأقرباء أو الأصدقاء غير هذا الذي تلبسيه الولد أو البنت فهل لاحظت هذا ؟ أم احتاج الأمر إلى أن تخاصميه بأن هذا هو الأفضل ؟

٧- هل اتفقتما كلاكما عزيزيَّ الزوجين على بعض القواعد والآداب في أمور تربية الأولاد وتدريسهم ونومهم وهندامهم ومصاحبة من يصحبون أم أن ذلك تركتيه للصدف ؟

٨- هل انتظرت مجيئه يوماً إلى البيت وقد أتعبك الأولاد بخصامهم وصياحهم فاستقبلت الزوج غاضبة ثائرة قائلة :إما أنا وإما أولادك؟ لم أعد أستطِعْ تحملهم؟ أم انتظرت إلى ما بعد الغداء و لم تنسَيْ إصلاح هندامك ومظهرك وبعد استراحته وهدوئه فتحت الحديث معه وعالجتما مشكلة الأولاد أو مشكلة أحدهم بهدوء وروية دون انفعال وعصبية ؟

٩- هل نسيت أن تنظري في المرآة بين كل فترة وأخرى ، وأصلحت هندامك وزينتك ، وسرحت شعرك التسريحة التي يحبها زوجك .

١٠- هل أنهيت أعمال البيت ، أو هيأت نوم الأولاد في غرفتهم ، ثم أعددت الوقت والمكان اللازم لقضاء سهرة حلـــوة مع زوجك ، في البيت أو في أي مكان آخر تختارانه ؟

١١- وهل تصبرين إذا لم يكن هذا الزوج حلمك السابق ؟ وحاولت تقريب بينك وبينه ولو على مراحل ؟!

١٢- وهل وهل ؟ ...

عزيزي الزوجين : سأسوق لكما فيما يأتي من الصفحات في القسم الثاني إن شاء الله بعض قصص الأزواج والزوجات العقلاء الفطناء والصالحين لترجعا إليها كلما وجدتما بعض المنخفضات في مسيرة الحياة الزوجية أو بعض المنحنيات في هذه الطريق من عمركما المديد إن شاء الله .

تجديد الحياة الزوجية :

عزيزي الزوج : هل تريد أن تجدد حياتك الزوجية ؟ قد يخطر ببالك أن تتزوج بامرأة أخرى ، ولكن هناك عدة عوامل تمنعك من ذلك ؛ منها : وفاؤك لزوجتك التي شاطرتك حلو الحياة ومرها ووقفت معك أيام المحن والشدائد صابرة محتسبة ، أو شاطرتك أيام الفقر متجملة متعففة ، وقد لا يكون هذا ولا ذاك ، بل إنك لا تريد التفريط بشمل أسرتك ؛ أولادك وبناتك ،وخاصة في هذا الزمان الذي شوشت فيه وسائل الإعلام ، وشاغبت على تعدد الزوجات ، حتى صار لدى الناس اعتقاد ظالم سائد بأن التعدد حرام ، وأنه عمل غير أخلاقي ، مع غض النظر وعدم اللوم عمن يعاشر امرأة أخرى بالحرام !! أو أنك لا تجد النفقة الكافية للزواج من ثانية أو لا تستطيع تحقيق العدل بينهما ، أو أو ؟؟

لذلك فقد نصحت كثيراً من إخواني ، أن يجددوا حياتهم الزوجية بأقل من تكاليف الزواج من ثانية ، وذلك بأن يشتري حاجات عرس لزوجته وله ، ويعتبر ذكرى زواجه ، زواجاً جديداً يقدم فيها هذه الحاجات كهدايا لزوجته ، وأفلحت هذه

الفكرة لدى من عمل بها من الأصدقاء ، وقد جربتها أنا بعد ٣٨ عاماً من زواجنا ، مجدداً بهذا عقد زواجنا الأول ،ولكن دون مهر جديد ، بل ببعض أثاث ولباس جديد ، والحمد لله على دوام الإلفة والمحبة ،

- وقد وجدتُ من وافق رأيه رأيي ولكن بعمل أفضل من عملي ، وفي قطر آخر من أقطارنا العربية ، فجدد عقد زواجه لشريكة عمره ، بأن ذهب إلى المحكمة الشرعية وزاد مهرها المعجل والمؤجل ، وعمل حفلة زواج جديدة ودعا فيها أصدقاءه للمشاركة.

ولا تظنَّ هذا الخبر طرفة، أو فكاهة ، بل هو أمر واقع قرأته في جريدة محلية ، وإليك هذا الخبر كما نشرته جريدة الجماهير الحلبية بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٢ بعنوان :

وفاءً لشريكة عمره ... أردني يجدد عقد زواجه

- في سابقة هي الأولى من نوعها لدى المحاكم الشرعية جدد أردني عقد زواجه بمناسبة ذكرى الأربعين لزفافه . وتقدم الرجل الوفي لزوجته (٦٤)عاماً بالتماس إلى المحكمة الشرعية تحت عنوان (جزاء المعروف) لتجديد عقد زواجه المبرم بمبلغ مقدم ١٧٠٠ دينار إلى ١٠٠ألف دينار.

ورفضت المحكمة أن يكون المبلغ أكثر من ٢٥ ألفاً حتى لا تسجل سابقة فتشجع الغلاء على المهور الذي لا تقره الشريعة ، وعقب جدل اتفق على أن يكون المعجل ٢٥ ألفاً وبدل الأثاث بمبلغ مماثل والمؤجل ٥٠ألفاً . وعقب إتمام العقد اتصل الرجل بأصدقائه ومعارفه وأحيا ذكرى زفافه حسب العقد الجديد ، مؤكداً أن هدفه كان تعميق أواصر المحبة والود . ورفض الرجل الإفصاح عن هويته لوسائل الإعلام، لكنه أشار إلى أن موقفه كان إجلالاً لزوجته وتأكيداً لمبدأ العدالة وإيصال رسالة للجميع بضرورة إنصاف الزوجات بمهورهن المتآكلة مع مرور الزمن وارتفاع تكاليف المعيشة جراء ارتفاع الأسعار .

- وقد أخبرني أحد الأصدقاء من بلدتنا (الباب) وهو محام لامع مشهور ومن أهل إحقاق الحق والإنصاف ، بعدما اطلع على هذا الفصل بأنه أيضاً وفاءاً لزوجته جدد لها مهرها لدى القاضي الشرعي بعد عشرين عاماً من زواجهما وكان مهرها المقدم (عشرة آلاف ليرة سورية) وكذلك مؤخره ، فثبته لدى القاضي (بمائتي ألف ليرة سورية) مؤخراً ، شكر الله سعيه ، وجزاه الله خيراً .

هل تتقاعد الزوجة بعد أن تصبح جدة ؟!

أرادت السيدة المصونة زوجتي الغالية (فاطمة الزهراء) بنت عمي الشيخ محمد سعيد المسعود رحمه الله أن تشارك بهذه الباقة العطرة من كلمات المودة والرحمة من خلال تجربتها في الحياة الزوجية فكتبت ما يلي بهذا العنوان أعلاه :

الوقت مساء ، وقد علمت حفيدتها الصغيرة الحلوة أن جدتها قد انتهت من أداء صلاة العشاء والأذكار بعدها ، ورتبت ما عليها ترتيبه ؛ في نفسها وبيتها .

قرعت الحلوة الصغيرة باب جدتها ، وقالت : –جدتي جدتي ، افتحي لي الباب ، ففتحت الجدة ، ودخلت الصغيرة قائلة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مساء الخير ،يا جدتي ! ردت الجدة التحية بأحسن منها ، وضمت صغيرتها الحلوة إلى صدرها بحب وعطف وقبلت وجناتها ..

ولكن الصغيرة الذكية ، بدت محرجة وهي تحملق في وجه جدتها باستغراب ودهشة ، كأنها رأت شيئاً لم تره من قبل ، وخرست الكلمات في لسانها ، و لم تنتظر أن تأكل الحلوى التي قدمتها جدتها ، وهي عادة تجيء لها الحلوى ولأخواتها الصغار ، فاستأذنت جدتها بالانصراف ، وذهبت إلى غرفة والديها ..

لاحظت أمها علامات الاستغراب على وجهها ، والكلمات تتعثر في فمها ، كما لاحظت رجوعها السريع من غرفة الجدة فقالت لها :

- مالك يا حبيبتي ؟! ماذا وراءك ؟! أجابت الصغيرة بتلك الكلمات المتلعثمة ..

- يا ماما ، نانا !! قالت الأم

- ماذا أصاب (النانا) ؟قولي هل حدث شيء ؟ قالت الصغيرة (بعد أن بلعت ريقها) ورأت الدهشة في وجه والدتها :

- نانا ثوبها حلو جداً (تنفست أمها الصعداء) وتابعت الصغيرة قائلة : وعلى فمها (...) وعيونها (...) !!

- و لم تقل البنت .. ماذا وعلمت الأم صنيع حماتها من الزينة والتجمل ، وضحكت من ابنتها وقبَّلتها .

- حكت الأم في الصباح لحماتها ماذا قالت الصغيرة ، وما رأت من علامات الاستغراب والدهشة في وجهها ، قالت الجدة : يا بنيتي ؛ إني أفعل ذلك –كما تعلمين ليلاً – لأن النهار لا يسمح لي بأخذ زينتي التي يطلبها الشرع مني ، ويرضاها الزوج ، لأن النهار مفتوح أمام الداخلين والخارجين ، من الأصهار والأولاد ، والزائرات وأصحاب الحاجات ، وأنا أستحي بطبعي أن تظهر زينتي الخاصة بزوجي أمام محارمي ، وليس لأن ذلك حراماً ، فأغتنم الفرصة للزينة ليلاً ، مع محافظتي على نظافتي في الجسم والثوب نهاراً ، أما سمعت مني مراراً قول الحبيب المصطفى ﷺ (بأن خير ما يكتر المرء الزوجة الصالحة ؛ التي إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله) .

- وأنت ترين – يا عزيزتي – أن الجمال والتجمل قد استويا مع الطاعة المطلوبة وحفظ النفس والمال ، كما أن التزين والتجمل (الذي يسر الزوج الناظر) إعفاف له وكفاية من أن ينظر إلى زوجة الشارع !

- قالت الكنة باستغراب ، ومن تكون زوجة الشارع هذه ؟

- فقالت الجدة لها :

- هي التي تبدي زينتها ومحاسنها التي أمرها الله بسترها في قوله تعالى (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن)فتبديها للرجال من غير محارمها ، وتفتنهم بزينتها الحرام ، فيفتنون بها ، ولا تقوم غالب الزوجات بجذب أزواجهن بالزينة الحلال كما أمر ديننا الحنيف .

- لذلك عندما تقوم المرأة المسلمة – يا بنيتي – بواجبها الشرعي والطبيعي تجاه زوجها ، تكون قد أطاعت ربها وأطاعت زوجها ، وحافظت على استقرار بيتها ، وجعلت زوجها دائماً يتوق إليها ولا ينصرف إلى غيرها من (زوجات الشارع) .

- أكتب هذا ، وأنا أرى أن غالب النساء ، متى كبر أولادهن ، وأصبح لهن أصهار ، يتقاعدن عن مهمة عظيمة ، وواجب كبير تجاه أزواجهن ، إنهن يتقاعدن عن مهمة استمرار إعفاف الزوج وإشباع رغبته إلى المرأة والتي فطر الله الرجل عليها وجعل الرجال والنساء (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) فتترك المرأة الجدة زينتها ، والعناية بهندامها وتنشغل بالصغار والكبار من أولادها وأحفادها وأسباطها ، وأصهارها وبناتها ، مهملة بهذا الانشغال الواجب الأهم عليها من تحقيق استقرار في البيت والزوج والأسرة .

- وقد يلجأ الزوج الذي يخاف الله – ولا يجد زوجته المتقاعدة أعطته حقه من الإعفاف والإحصان إلى الزواج بثانية ، فتقوم قيامة الأولى وتبرز غيرتها ، وتعمل ما يغضب الله ، ويجانب العقل ، من معاداةِ الزوج – وتحريش أولاده وبناته عليه

، هذا إذا لم تتعد إلى تجريح سمعته ، وتشويه سيرته ، وبث البغضاء بينه وبين أولاده واتهامه بظلمهم وظلمها ، وهي التي جنت على نفسها ، وحيث أنها قصرت في سد حاجته الطبيعية (الفطرية) إلى المرأة ، وتنتقل من عصيان الزوج إلى عصيان المولى تبارك وتعالى لأنها تسببت في إغضابه ، وباتت وزوجها عليها غضبان ، ومعلوم حديث رسول الله ﷺ كما في الصحيحين (إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع) وفي رواية (حتى تصبح)

- كما أنها إذا انصرفت عنه وانشغلت بغيره من الأولاد ، وحاجات البيت ؛ فإنها تسهل له بانشغالها هذا التوجه إلى الحرام ، وما أكثر ما يعرض الحرام بضاعته والعياذ بالله تعالى .

- لذلك على المرأة المسلمة أن تعلم علم اليقين أن ما شرعه الله سبحانه في قرآنه وعلى لسان رسوله ﷺ هو الحق الذي يجب أن يتبع ، ولا يغرنك كثرة ما يصرف النساء والرجال عن هذا ، فقد قال ﷺ : (المرأة لا تؤدي حق الله عليها حتى تؤدي حق زوجها ، حتى لو سألها وهي على ظهر قتب لم تمنعه نفسها) [1]

- وعلى الزوجة المؤمنة (ولو كانت جدة) أن تختار دائماً ما يحبه زوجها من لباس أو طعام ، وأثاث بيت وهندام . وألا تجعل الإناقة وحسن الهندام لضيوفها ، وتبقى في ثياب المهنة ، أو فيما لا يستحسنه الزوج ؛ إذا جاء إلى البيت ، فإن هذا يُحْفِظُهُ (يغضبه) وتعلم كل امرأة فطنة ما يحب زوجها وما يكرهه ، والله المستعان .

وهل يتقاعد الزوج أيضاً بعد أن يصبح جداً ؟

وبالطبع فإن ما كتبته الزوجة الغالية ، حفزني أيضاً لأن أكتب عن الزوج ؛ هل يتقاعد الزوج بعد أن يصبح جداً ؟! وسرعان ما يمسي الزوج جداً !! أو قد يبلغ تلك المرحلة ولما يتجاوز سن الكهولة ..

وسيرفض الرجال مفهوم التقاعد بالطبع ، لأن التقاعد في مفهوم بلادنا ، عدم ممارسة عمل وظيفي ، والخلود إلى الراحة والهدوء أو الاشتغال بأعمال أخرى غير مجهدة .، إذا كان التقاعد بعد الستين .

والتقاعد عن الواجبات الزوجية مرفوض طبعاً وغير مقبول شرعاً ، إذ إن المسؤولية تجاه الأسرة لا تنفك عنه استناداً إلى القاعدة الشرعية المستنبطة من الحديث الشريف (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، والأمير راع ، والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) البخاري كتاب النكاح .

لذلك فليس في الحياة الزوجية تقاعد لا من قبل المرأة ولا من قبل الرجل ؛ وكلٌ يؤدي واجباته تجاه الآخر وتجاه الأسرة وفق ما بينته وفصلته أحكام الشريعة الغراء وقد ذكرنا جانباً من هذا خلال الصفحات السابقة .

لكن المريض معذور سواء كان شاباً أو شيخاً رجلاً كان أو امرأة ..

---

[1] - رواه الطبراني كما في الترغيب والترهيب للمنذري .

وعليه فإن حاجة الرجل إلى المرأة وحاجة المرأة إلى الرجل لا تنقضي حتى ينقضي الأجل ،
وقد يتبادر إلى الذهن لدى كثير من الناس أن الحاجة المقصودة هي الحاجة الجنسية ، وهذا جزء من الحقيقة تختلف شدته عند الناس .. وكلما تقدم السن في الزوجين ، فإن حاجة أحدهما إلى الآخر تبرز أكثر من ذي قبل ، وقد عبر عنها الحق أصدق وأجمل تعبير إذ قال (لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة) فهذا السكن هو معظم حاجة الزوجين إلى بعضهما ، وبخاصة عندما يتفرغان من شواغل الأولاد والبنات الذين يتزوجون ويَبْنُون أسراً مستقلة عن الوالدين .. آنذاك تبرز حاجة كل من الزوجين إلى الآخر أعظم ما تكون ، وينطبق الوصف القرآني عليهما (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) أسبغ ما يكون لباساً ساتراً للعورات ، وقاضياً للحاجات ، وملبياً لرغبات الزوجين تجاه الهدوء والسكينة ، والراحة والطمأنينة .
ويأتي النشاط الجنسي تبعاً لتحقق عوامل الرغبة وزوال المعوقات لدى الطرفين ؛ كنتيجة لما يشعران به من صحة وعافية ، وراحة وسكينة ، وهدوء وطمأنينة .
ويصبح تعلق الزوجين ببعضهما ، وتعلق الرجل غالباً ، أشد في مرحلة ما بعد التفرغ من الشواغل والأولاد (الذي أسميناه التقاعد) ليتحقق السر العظيم المشار إليه بقوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ....)الروم هذا السر الذي عبرت عنه فيما سبق (**بالتكاملية**) والعودة إلى (**التوحدية**) الذي هو الأصل المشار إليه بقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ..) النساء .
وكما ذكرت الآية السابقة في سورة الروم (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ...) الروم
فالقرآن عبر هنا بالنفس (الواحدة) وهذا سر من أسرار القرآن في النفس وفي الإنسان ..
ولذلك تجد الرجل السوي يدأب في البحث عن المرأة حتى تعود أموره إلى (النفس الواحدة) بعد الاقتران بها .. ومن تقدم به السن يشعر بهذا أكثر من الشاب الذي قد يكون مشغولاً بحاجات أخرى ، وقواه الجسمية في أوجها ؛
ومثال على ما أقول ؛ ما تراه من سؤال الرجل الكبير عن زوجته أول ما يدخل داره أين هي ؟! فيسأل أولاده أو أحفاده ، ولا يستقر له حال ، ولا يهدأ له بال حتى يراها ، ويجلس إليها ، وإن كان أحياناً يبادرها بسؤاله عن غيابها بترق وغضب ، إشباعاً لغرور الفوقية عنده مثلاً إلا أنه سرعان ما يهدأ ، فقد وجد سكنه وأنس بزوجه ، واستقرت عواطفه .
وهذا بالطبع ليس من أجل حاجة جنسية ، فقد يكون هو عِنِّيناً أو تكون هي عجوزاً أو مريضة ، وإنما يبحث هو عن الرحمة المخبوءة في قالب تلك (النفس الواحدة) التي كان كلاهما أي الزوجان محققان لها والتي عبر عنها الحق سبحانه بقوله : (وجعل بينكم مودة ورحمة) .
وهي بالأولى تبحث عن هذه (الرحمة والمودة) المخبوءة في قالب زوجها ،وتفتقده إذا غاب ، وتقلق عليه إذا تأخر وترسل الأحفاد ليعلموا خبره إن سمعت عنه ما يشغل بالها ويشوش خاطرها .
وقد تتقدم بهما السن ، وتفضي بهما الحال إلى أن لا يتحملا أي إزعاج أو مسؤولية ، وتسوء أخلاقهما من أدنى سبب ، ويفضي كل منهما إلى الآخر باللوم أو العتاب ، وقد يجلسان الساعات الطوال لا ينبسان ببنت شفة (لا يتكلمان) ولكن إذا غابت زوجته دقائق لحاجة ما ، فإنه يضجر ، ويستعجلها العودة إلى مجلسهما فماذا يجدان فيه ؟
إنه (السكينة ، والمودة والرحمة) التي تخيم عليهما ، وإن كانا لا يريانها بالبصر ، فإنهما يحسانها بالبصيرة .
وبعد : فهل يتقاعد الزوج ؟ وهل تتقاعد الزوجة بعد أن يصبحا جدين ؟
الجواب عند القارىء ، بعد دخوله سن التقاعد !! والله المستعان وعليه التكلان .

وختاماً : أيها الزوجان الكريمان المتقاعدان :

هناك ملاحظتان : الأولى : لقد أصبحتما الآن في مرحلة من العمر جديدة ، وباستطاعتكما أن تجعلاها شهر عسل مستمر حتى تلقيا ربكما ، ولكما إن أردتما أن تجعلاها أيام حنظل وعلقم ، فبإمكانكما ذلك أيضاً !! باستطاعتكما أن تجعلاها شهر عسل تذوقان فيه حلاوة التمتع بالحياة السعيدة ، والسكن الهادىء المطمئن كما بدأتما حياتكما الزوجية وذلك إن تحملتما بعضكما البعض ، وصبر كل منكما على تقصيرات الآخر ، و لم يحاسبه على الصغيرة والكبيرة ،

فها هي شريكة حياتك أخي الزوج قد أثقلت ظهرها السنون ، وأيبست عودها عوامل الحمل والولادة ، وما يتبعها من العناية بالأولاد والبنات والسهر عليهم حتى صاروا رجالاً ونساءاً وتزوجوا وافتتحوا بيوتاً ، ورفدوا المجتمع والأمة بالبنين والبنات ، الصالحين والصالحات إن شاء الله .

فهل ستعتبر – أخي الزوج – أن أم البنين الغالية على قلبك سابقاً ولاحقاً ، لا تزال بنت العشرين بصحتها وشبابها وفتوتها ونضارتها ، وتتأَمَّرُ عليها أنت كأنها في شرخ شبابها ؟ أم ستراعي – بلا شك – ما حملته في حياتها وما تحملته من آلام وشقاء في تربية الأولاد والسهر عليهم وعليك أنت، والعناية بك بعدما كثرت عليك الأسقام ، وصار الدواء ملازماً لك كالطعام ؟ ما أظنك إلا أنك ستراعيها ، وتحترمها وتعتني بها وتصبر عليها ، وتغفر لها تقصيرها كما كنت تفعل سابقاً وزيادة ، لأنها تجاوزت الستين ، وأنت سبقتها في المجاوزة لهذا السن منذ سنين .

❁ ❁ ❁

وأنت أيتها الزوجة المحبة الصابرة الودودة الوفية ، هل ستتبرمين من طلبات هذا الزوج وتتأففين من كثرة كلامه ، ومن ملاحظاته، وتدقيقاته التي لا تنتهي بنظرك وتقولين في نفسك ؛ ما أكثر ما يدقق ، وما أكثر ما يحكي، إنه لا يفوت ملاحظة، ولا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ويسأل عنها ويفتش عليها سائلاً : لماذا صار هذا ولماذا تُرك ذاك ؟

وبالطبع لأنك المحبة له وتسبغين عليه من عواطف المودة والرحمة كما كنت سابقاً تفعلين وزيادة ، ستقابلين هذا (النَّقّ) بالبسمة الضاحكة ، والكلمة الطيبة ، والصفح والإعراض عن كل ما تظنينه فضولاً وتدخلاً فيما لا يعنيه ويعتبره هو ذوقاً وأصولاً وشأناً له يرضيه ، سوف تعذرينه بسبب مرضه ، أو كثرة متاعبه ، أو إرهاقه ومعاناته النفسية التي تؤثر عليه من جراء عدم استطاعته القيام بما كان يقوم به سابقاً من أعمال ومسؤوليات ، ونشاط اجتماعي ، وهمة في معالجة الأمور ، وسوف تكون يدك الحانية عليه وعلى الأولاد ، بل عليه ؛ أكثر وأشفق ، وألطف وأرحم ، وإن وجدتِ أنتِ وهو ضجراً كما أقول فعودا إلى أول هذا الكتاب واقرأا فصوله الأولى من جديد ، وأنا متأكد بأنكما إن فعلتما وقرأتما فسوف يتجدد نشاطكما ، وتنسيان متاعبكما وتدعوان لي ولمن يسر طبع الكتاب ونشره ، بالتوفيق والسداد .

الملاحظة الثانية : وهي خاتمة المطاف ؟ !

هل كانت حياتكما المديدة ، وعيشكما السعيد ؛ إن شاء الله ، موجهاً في طاعة الله ، ودعوة عملية بالحال والمقال إلى عباد الله أمثالكم لسلوك طريق طاعة الله ، وتجنب معاصيه ؟ هل كانت هذه الحياة السعيدة التي عشتماها أنتما والبنون والبنات ، والأسباط والأحفاد ، نموذجاً عملياً لما عليه الأسرة المسلمة التي تتمتع بالحياة الهانئة الطيبة ، وبنفس الوقت دعوة سلوكية لسائر الأزواج والزوجات للسير على طريقكما ، وسلوك سبيلكما ؟

أليس من شكر الله الذي أنعم علينا بالمودة والرحمة ووفقنا للسكن والطمأنينة ، أن نسخر جهودنا وأوقاتنا لتكون نموذجاً يؤتسى به من قبل الآخرين ؛ من أزواج وزوجات ، وأسر وعوائل ، وبنين وبنات ؟!

أليس من شكر الله الذي وفقكما وأنتما بعد هذا العمر المديد تتمتعان بالحب العميق ، والإلفة الدائمة ، أن تسخِّرا حياتكما الحاضرة والباقية لتكون نموذجاً عملياً لدعوة الآخرين إلى سلوك ذات السبيل ، والسير في نفس النهج السوي الذي سرتما فيه ، وسلكتما حياتكما المطمئنة إليه .

إذن ؛ إن كان الأمر يتطلب ذلك، وشكر النعم يستوجب ما هنالك، فعليكما ، عزيزي الزوجين ؛ ألا يغيب عن بالكما؛ هذا الهدف ، وهو أن تكون سعادتكما الزوجية، وحياتكما الأسروية دعوة عملية للناس ؛ تقول لهم بلسان الحال، قبل لسان المقال :

ألا إن من أراد السعادة في الدنيا ، والجنة في الآخرة ورضوان الله فيهما ، والتوفيق والسداد في كليهما ، فليبن حياته على تقوى الله ، وليتزود فيها بتقوى الله ولتصحبه التقوى في سره وعلنه، وغضبه ورضاه ، وفقره وغناه ، وصحته وسقمه ولتكن طاعة الله وتلمس مرضاته غايته في سائر شؤون حياته ، وتلك سعادة الدنيا الموصلة إلى سعادة الآخرة وبها يتحقق للأزواج والأولاد والأحفاد العيش الهني، والسكن النفسي ، والبعد عن أمراض العصر القاتلة، سواء كانت أمراض الجسم أو الأمراض النفسية والعصبية .

و لم لا والله سبحانه وتعالى يقول : {... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} (٣) سورة الطلاق ، ويقوله عز من قائل : {.. وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ} (١٩٧) سورة البقرة .

القسم الثاني

الهدية الثانية

المبحث السادس

أخبار الزوجات والأزواج من بطون الكتب والأسفار

الفصل الأول

أخبار الأزواج في كتاب الله سبحانه وتعالى

١- أول زوجين آدم وحواء

٢- قصة الزوجين المؤمنين : إبراهيم وسارة

٣- الزوجتان الخائنتان ، امرأة لوط وامرأة نوح

٤- الزوجة الصالحة امرأة فرعون

٥- يوسف عليه السلام وامرأة العزيز

٦- زوجة أيوب عليه السلام

٧- قصة زواج موسى عليه السلام

الفصل الثاني

زهرات من بساتين رسول الله ﷺ

الزوج المثالي والزوجات الطاهرات

❁ ❁ ❁

بعض الحقائق من زواج رسول الله ﷺ

١- قصة زواج الصادق الأمين بالسيدة خديجة بنت خويلد

٢- قصة زواج الرسول الكريم ﷺ من سودة بنت زمعة

٣- قصة زواج عائشة رضي الله عنها

٤- زواج النبي ﷺ من حفصة الصوامة القوامة

٥- زواج لنبي ﷺ من أم سلمة المخزومية

٦- ملك الحبشة يزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان

٧- زينب بنت جحش : زوجكن أهلكن وزوجني الله

٨- زينب بنت خزيمة أم المساكين

٩- جويرية بنت الحارث التي كانت بركة على قومها

١٠- صفية بنت حيي التي رأت القمر في حجرها

١١ - ريحانة بنت زيد النضرية التي اختارت الله ورسوله ﷺ

١٢- ميمونة بنت الحارث آخر زوجات النبي ﷺ

الفصل الثالث

قطوف من رياض الكتب عن الأزواج والزوجات

١- من كتاب أضواء نحو بيت سعيد

٢- ومن كتاب (المرأة المتبرجة وأثرها السيئ في الأمة)

٣- ومن كتاب (ادفعي زوجك نحو النجاح)

٤- ومن كتاب (كيف تجعل زوجتك تحبك)

٥- ومن كتاب (المرأة المثالية في أعين الرجال)

٦- ومن كتاب (الموضة في التصور الإسلامي)

٧- ومن كتاب (الطب والحياة الزوجية)

٨- ومن كتاب (التفاهم في الحياة الزوجية)

٩- ومن كتاب بهجة العروسين

١٠- ومن كتاب الطلاق في المجتمع الإسلامي المعاصر

الفصل الرابع

بستان الأسرة

الفصل الخامس

من رياض الكتب والمجلات .

البحث السادس

أخبار الأزواج والزوجات من بطون الكتب والأسفار

تمهيد :

كما وعدتكما سابقاً عزيزيَّ الزوجين – أن أقدم لكما قطوفاً من ثمرات الكتب تستعينان به في بناء حياتكما الزوجية ، وهو في الغالب صور من الواقع الذي مضى ، نافع بإذن الله لمن اتعظ أو وعى ،

وهو أيضاً ترميم لجدار الحياة الزوجية إن أصابتها شروخ الزمن ،وإصلاح لما وهى من بناء الأسرة إن تداعت عليها النوائب والمحن .

ومن ثمرات الأوراق نقتطف جناها ، ومن أزهار الأسفار نجمع ما ينفع، وما أكثر الكتب التي كتبت في العلاقات الزوجية!! ومن أعظمها فائدة ما لامس واقعاً أو عالج مشكلة ؛ فكان كالبلسم للجرح ، وكالماء للأرض العطشى .

وخير ما نبدأ به كتاب الله سبحانه وما أعظم فائدته ، وما أكثر بركته ، فنجتني منه الآيات البينات التي تقص علينا أخبار الأزواج والزوجات الصالحات ، فيكونوا لنا قدوة وأسوة ، وأنباء الأزواج والزوجات المنحرفين فتكون وقائعهم لنا نذيراً وتحذيراً .

الفصل الأول

أخبار الأزواج في كتاب الله سبحانه

-١-

أول زوجين آدم وحواء

ذكر لنا ربنا سبحانه في كتابه الكريم قصص الحياة الزوجية وعوامل صيانتها وحفظها ، وعوامل انهيارها وتصدعها وأول قصة تذكر هي قصة آدم وحواء : قال الله تعالى في سورة البقرة : {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} (٣٨) سورة البقرة .

ذكر الإمام المفسر المؤرخ ابن كثير ، أن الله سبحانه أمر آدم عليه السلام أن يسكن الجنة هو وزوجته وحذره من إبليس {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى} (١١٩) سورة طـــه .

وذكر ابن كثير أيضاً أن الله سبحانه لما أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم فيها، وصار يمشي آدم فيها وحيداً ، فنام نومة ولمَّا استيقظ وجد حواء قاعدة عند رأسه قد خلقها الله سبحانه من ضلعه فلما رآها سألها ما أنت ؟ قالت امرأة قال:و لم خُلِقْت؟ قالت : لتسكنَ إليَّ ، فقالت له الملائكة ينظرون ما مبلغ علمه : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء ، قالوا و لم كانت حواء ؟ قال : لإنها خلقت من شيء حي .

قال ابن كثير : ومصداق هذا في قوله تعالى في أول سورة النساء ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً ﴾ وقال سبحانه ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ الأعراف الآية ١٨٤

وفي الصحيحين (البخاري ومسلم) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : ((استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً))[١] و[٢]

وذكر ربنا سبحانه أنهما أكلا من الشجرة وذلك بعد وسوسة الشيطان لهما وحلفه لهما اليمين بالله أنه ناصح لهما بأكلها حتى يخلدا في الجنة أو يكونا ملكين وما تصور آدم عليه السلام أنَّ أحداً يقسم بالله كاذباً ، ولذلك صدقاه في يمينه ونسيا عهد الله لهما ألا يأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها ، ولا يهمنا معرفة الشجرة ما هي ؛ هل هي الحنطة ، أم النخلة ؟ أم التينة طالما أن الله سبحانه لم يسمها لنا ، ويكفينا أن الله سبحانه نهى عن شجرة بعينها ، ولو كان في تعيينها فائدة لذكرها القرآن الكريم ،

---

[١] – راجع البحث ص٤١ (خصائص الرجل والمرأة) من كتابنا هذا في تفسير هذا الحديث .

[٢] – قصص الأنبياء لابن كثير ص١٣ وما بعد .

ولما أكلا منها بدت لهما سوآتهما (عوراتهما) وسقط لباس الجنة عنهما [1]، فسترا جسمهما بورق الجنة ، ولنستعرض قصة آدم وزوجه كما وردت في القرآن الكريم قال الله سبحانه في سورة الأعراف : {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} (٢٥) سورة الأعراف

وذكر ربنا سبحانه أيضاً هذه القصة مفصلة في سورة طه فقال جل من قائل مبيناً عهده إلى آدم بألا يأكل من الشجرة الممنوعة فنسي العهد وأكل منها ، و لم يكن له عزم على مخالفة عهد الله سبحانه ، بل كان هذا بعد قسم إبليس له أنه ناصح له قال سبحانه :{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦) سورة طـــه .

وفي هذه القصة عبرة وعظة لبني آدم وبخاصة الزوجين ، أن يكونا كأبويهما في الرجوع إلى الطاعة والتوبة والندم وعدم الإصرار على المعصية ، إذا نسيا عهد الله سبحانه وأوامره ، ولا يكونا كإبليس الذي عصى وغوى ، واستكبر فلعن وطرد من رحمة الله سبحانه .

٢ – قصة الزوجين المؤمنين : ابراهيم عليه السلام وسارة

وقصة الزوجين الكريمين إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة ، وهي وإن لم تذكر كلها في القرآن فقد ذكر بعضها (البشارة بالولد) ذكرها المفسرون كما ذكرها المؤرخون ، وخلاصتها كما ذكرها المفسر المؤرخ ابن كثير رحمه الله في تاريخه وها أنذا أذكرها بشيء من الإجمال والتصرف ؛ كما رواها عن الإمام البخاري والإمام أحمد وغيره ، قال : دخل إبراهيم عليه السلام قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة (وكان ملكاً على مصر) فتحدث الناس وقالوا : دخل إبراهيم الليلة بامرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه الملك الجبار : من هذه معك ؟ قال إبراهيم : أختي ، فطلبها منه ، فقال لها إبراهيم عليه السلام ؛ لا تُكَذِّبي قَوْلي فإني قد أخبرته أنك أختي ، إنه ما على الأرض مؤمن غيري وغيرك ،ويعني خليل الله بهذا أنها أخته في دين الله ،

---

[1] – فانظر أخي المؤمن (زوجاً أو زوجة) عاقبة المعصية وعقوبتها هو في الدنيا ظهور العورة التي يسوء كشفها العقلاء المؤمنين ، ولاحظ كيف يكشف كثير من العقلاء من الرجال والنساء عوراتهم ، في الدنيا وما يدرون أن هذه عقوبة معجلة ، وفي الآخرة ناراً تلظى ..

وليس على الأرض زوجين مؤمنين غيرهما ، فلما دخلت على الملك قام إليها ، ومد يده ليتناول يدها ، فقامت تتوضأ وتصلي وقالت : اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك ، وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلط عليَّ الكافر ! فلما مد الملك يده عليها أُخِذَ (عوقب حتى نكس على رأسه ثم قام يركض هارباً كالمخنوق) فقالت سارة : اللهم إن يمت يقال أنا قتلته ! فصحا من غطيطه ، ثم عاود الكرة مرة ثانية فعاودت دعاءها أيضاً وقالت : اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليَّ الكافر ، ولما مد يده الثانية أُخِذَ أيضاً فقالت مقولتها الأولى، اللهم إن يمت يقال أنا قتلته ، فصحا وعاود الثالثة والرابعة وهي تدعو أن يخلصها الله سبحانه وتعالى منه ، فحينئذ قال الملك لحاشيته وخدمه : ما أرسلتم إليَّ إلا شيطاناً ، أرجعوها إلى إبراهيم وأعطوها **هاجر** خادمة لها ، وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام من وقت ذهب بها إلى الملك يصلي لله عز وجل ، ويسأله أن يدفع عن أهله كيد الملك الجبار ، وأن يرد باس هذا الذي أراد بأهله سوءاً وهكذا فعلت هي أيضاً .

وقد ذكر بعض العلماء أن الله عز وجل كشف الحجاب فيما بين إبراهيم عليه السلام وبينها ، فلم يرها منذ خرجت من عنده إلى أن رجعت إليه وكان مشاهداً لها وهي عند الملك ، وكيف عصمها الله منه ، ليكون ذلك أطيب لقلبه وأقر لعينه ، وأشد لطمأنينته ، فإنه كان يحبها حباً شديداً ، وذلك لدينها ، ولقرابتها منه (حيث أنها ابنة عمه) وقد أكرم الله سبحانه سارة بإسحاق بعدما أكرم هاجر بإسماعيل ، وقد ذكر لنا ربنا سبحانه بشارته لها بإسحاق في القرآن الكريم فقال تعالى في سورة هود :{وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ} (٧٣) سورة هود .

ففي هذه الآيات استغربت سارة أن تلد وهي عجوز ، أما في آيات سورة الحجر فقد استغرب هذه البشارة سيدنا إبراهيم عليه السلام نفسه قال سبحانه : {وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِ بْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاَمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ} (٥٦) سورة الحجر .

أما في سورة الذاريات فتصف لنا الآيات حالة وهيئة (سارة) عندما بُشِّرَ الزوجان بالغلام العليم من قبل الملائكة الذين أتوه بهيئة ضيوف من البشر وقرَّبَ إليهم العجل السمين : {فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) سورة الذاريات ،

وعند أهل الكتاب أن عمر إبراهيم كان مائة سنة ، وعمر سارة تسعون سنة (قصص الأنبياء ص١٤٣-١٤٤) وتوفيت سارة ولها من العمر /١٢٧/سنة وتوفي إبراهيم عليه السلام وله من العمر مائتي سنة ومات في حبرون ، وهو البلد المعروف اليوم بالخليل في فلسطين في المربعة التي بناها سليمان عليه السلام .(قصص الأنبياء ١٦٣) وهذا منقول بالتواتر كما قال ابن كثير .

وأما هاجر التي وهبها له الملك الجبار ، فقد ولدت له اسما عيل عليه السلام ، بعد ما عاد من مصر إلى فلسطين فأمره الله سبحانه (لحكمة أرادها وظهرت فيما بعد ، بعمران مكة وما حولها وبماء البيت الحرام) أن يُسْكِنَ هاجر في الوادي غير ذي الزرع في بطاح مكة . فلما وصل إليه ومعه هاجر ورضيعها اسما عيل ، تركهما هناك وعاد أدراجه إلى فلسطين فلحقته سارة وهي تقول : إلى من تتركنا ؟ فلم يجبها ، فكررت السؤال ، وهو لا يلتفت إليها ، مغالباً أحزانه ودموعه على فراقها وفراق ولده ممتثلاً أمر ربه ، ثم قالت له : آلله أمرك بهذا ؟ فأجابها : نعم ، فقالت : إذن لا يضيعنا ! ثم عادت إلى وليدها الرضيع ، وبعد أن نفد الماء والزاد الذي تركه لهم إبراهيم عليه السلام ، قامت تبحث عن ماء ، ولا إنس هناك ولا طير ، وسعت بين الصفا والمروة جاهدة في البحث والنظر فيما حولها حتى جاء جبريل فهمز بجناحه تحت رجلي اسما عيل فنبعت زمزم ، ثم أكرمهما الله سبحانه بقبيلة جرهم العربية التي سكنت عندهما ، وأنست وابنها بهم ، وعمرت مكة بعد ذلك .) .

فانظر أخي المؤمن ، أختي المؤمنة إلى بركة الطاعة وامتثال أمر الله وطاعة الزوج كم هي عظيمة آثارها مفيدة ثمارها !!

-٣-

الزوجتان الخائنتان
امرأة نوح ، وامرأة لوط

ذكر الله سبحانه امرأة لوط عليه السلام في أكثر من موضع من القرآن وذلك عند ذكره لفعائل قوم لوط المنكرة من فعل الفاحشة في ناديهم وهي إتيانهم الرجال شهوة دون النساء وعدم استحيائهم من الله ومن الناس ، وذكر سبحانه أن امرأة لوط كانت على دين قومها وهلكت مع الهالكين منهم . أما امرأة نوح عليه السلام فقد ذكر في آية واحدة .

قال سبحانه في سورة هود بعدما وصف أسى وحزن سيدنا لوط على ضيوفه (وهم الملائكة الذين جاءوه بصورة شباب حسان الوجوه) قال عليه السلام فيما قصه علينا ربنا جل جلاله في سورة هود :{قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} (٨٣) سورة هود

أما في سورة الحجر فإن الحق سبحانه يصفها بأنها من الغابرين ولنستمع إلى الحوار بين نبي الله إبراهيم والملائكة الكرام قال سبحانه حاكياً على لسان إبراهيم خليله عليه السلام :{قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ} (٦٠) سورة الحجر

وذكر في سورة الشعراء دعاء سيدنا لوط للحق سبحانه أن ينجيه وأهله مما يعمل قومه من الخبائث فاستجاب الله دعاءه قال سبحانه ﴿ رب نجني وأهلي مما يعملون ، فنجيناه وأهله أجمعين ، إلا عجوزاً في الغابرين ، ثم دمرنا الآخرين ﴾ ١٧٣ الشعراء

وفي سورة النمل ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ، فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين ، وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين ﴾ النمل ٥٨

وفي سورة العنكبوت أيضاً يصف الحق توبيخ لوط عليه السلام لقومه ومعاندتهم له ثم مجيء الرسل إلى إبراهيم عليه السلام وإخبارهم بإهلاك قوم لوط ﴿ قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ، ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً ، وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امراتك كانت من الغابرين ﴾ ٣٣

وأما ما ورد في القرآن من ذكر امرأة نوح وامرأة لوط فهي هذه الآية في سورة التحريم قال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾

فما هي خيانة المرأتين لزوجيهما النبيين الصالحين نوح ولوط عليهما السلام ؟ قال ابن كثير : (خانتاهما في الدين فلم يتبعاهما فيه ، وليس المراد أنهما كانتا على فاحشة حاشا وكلا ، فإن الله لا يُقَدِّرُ على نبي قط أن تبغي امرأته ، كما قال ابن عباس وغيره من أئمة السلف والخلف (ما بغت امرأة نبي قط) ومن قال خلاف هذا فقد أخطأ خطأً كبيراً . (قصص الأنبياء ص ١٧٤) .

فانظر أختي المؤمنة جزاء المرأة الخائنة لدينها وزوجها ، فإن هاتين المرأتين رغم كونهما زوجتي نبيين كريمين ، لم ينفعهما ذلك ولم يدفع عنهما عقوبة الله سبحانه للخائنين في الدنيا والآخرة . وكما تكون بركة الطاعة عاجلة في الدنيا والآخرة، فإن جزاء المعصية أيضاً تلحق العاصي في العاجلة قبل الآجلة .

– ٤ –

الزوجة الصالحة امرأة فرعون :

وكما في قصة هاتين المرأتين عبرة كبيرة وعظة بالغة ؛ وهي ألاّ تغتر زوجة بصلاح زوجها وتترك طاعة الله وطاعة زوجها اعتماداً على صلاحه وتقواه ، وعلى أن الله لا يؤاخذها إن هي خالفت وعصت ربها معتمدة على تقوى زوجها ، فها هي امرأة نوح وامرأة لوط عبرة لمن يعتبر , وبالمقابل كذلك ؛ فإن آسيةَ امرأة فرعون حجةٌ على الأزواج الفاسقين وأسوة للنساء الصالحات اللائي يتحملن ويصبرن على أذى الأزواج الفاسقين قال الله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابني لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ آخرة سورة التحريم .

فقد جعل الله سبحانه حالها مثلاً لحال المؤمنات ، ترغيباً لهن في الثبات على الطاعة والتمسك بالدين والصبر في الشدة ، وأن وِصْلة الكفار وصَوْلتهم لا تضرهم كما لم تضر امرأة فرعون ، وقد كانت تحت أكفر الكافرين ، وصارت بإيمانها بالله سبحانه في أعلى غرف الجنان .. وأنها آمنت لَمَّا غلب موسى عليه السلام السحرة ، فلما تبين لفرعون إسلامها ، طلب منها أن ترجع عن إيمانها ، فأبت ، فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وربطها ، وألقاها في الشمس ، وأراها الله بيتها في الجنة ، ونسيت ما هي فيه من العذاب .. {.. وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} (٣) سورة الطلاق .

أخرج البيهقي عن سلمان قال : (كانت امرأة فرعون تُعَذَّبُ في الشمس ، فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها ، وكانت ترى بيتها في الجنة) . تفسير حدائق الروح والريحان .

يوسف عليه السلام وامرأة العزيز

وهي قصة العفة والفضيلة لشاب في ريعان شبابه ، واكتمال فتوته ، وجمال جسمه ، محفوف بالمغريات ، وموجبات الصبوة إلى النساء ، عزف عن المغريات ، وأعرض عن الشهوات ، واستمسك بمبادىء الخلق والفضيلة، وعانى الصعوبات والمشقات في سبيلها . ومع كرم الأصل وطيب المنبت ، وشرف الأرومة ، فقد تعرض لسلسلة من المصاعب والمصائب منذ بدء فتوته إلى اكتمال رجولته ، فصبر لها ، وصمد للمغريات حتى نال شرف قوله سبحانه ﴿ إنه من عبادنا المخلصين ﴾

ولنستمع إلى القصص القرآني يحكي لنا طهارة هذا الشاب الكريم وثباته على مبدأ آبائه الكرام أمام مغريات الملك والنساء ؛ وكيف لم تحفظ هذه الزوجة التي راودته عن نفسه وهو في بيتها ، لم تحفظ كرامة زوجها وقدسية هذا الرباط العظيم ، رباط الزوجية : قال سبحانه ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله ، إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴾ الآية ٢٣ سورة يوسف .

قال القرطبي المفسر : وفي الخبر أنها قالت له : يا يوسف ما أحسن صورة وجهك ؟! قال في الرحم صورني ربي .

قالت : يا يوسف ، ما أحسن شعرك ! قال : هو أول شيء يبلى مني في قبري . قالت : يا يوسف ما أحسن عينيك ؟ قال بهما أنظر إلى ربي .

قالت : يا يوسف إرفع بصرك وانظر في وجهي ، قال : إني أخاف العمى في آخرتي .

قالت : يا يوسف ، أدنو منك وتتباعد مني ؟! قال : أريد بذلك القرب من ربي .

قالت : يا يوسف القَيْطُون (المخدع) فرشته لك فادخل معي ، قال: القيطون لا يسترني من ربي .

قالت : يا يوسف ، فراش الحرير قد فرشته لك ، قم فاقض حاجتي ، قال : إذن ؛ يذهب من الجنة نصيبي . إلى غير ذلك من كلامها وهو يراجعها ؛ إلى أن همَّ بها قال : واختلف العلماء في همه ؛ ولا خلاف أن همها كان المعصية ،

أما يوسف فهمَّ بها ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ سورة يوسف

ولكن لما رأى البرهان ما همَّ ، وهذا لوجوب العصمة للأنبياء قال سبحانه ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ الآية ٢٤ سورة يوسف

وقال قوم ؛ جرى من يوسف هَمٌّ ، ولكن ذلك الهمّ حَرَكَةُ طبع من غير تصميم للعقد على الفعل ، وما كان من هذا القبيل لا يؤاخذ به العبد ، وقد يخطر بقلب المرء وهو صائم شرب الماء البارد وتناول الطعام اللذيذ ، فإن لم يأكل و لم يشرب ، و لم يصمم عزمه على الأكل والشرب لا يؤاخذ بما هجس في النفس ، والبرهان (برهان ربه) صرفه عن هذا الهم حتى لم يصر عزماً). قال القرطبي ذلك البرهان آية من آيات الله أراها الله ليوسف حتى قوي إيمانه وامتنع عن المعصية ،

وقال ابن كثير : وأكثر أقوال المفسرين هاهنا مُتَلَقَّى عن أهل الكتاب فالإعراض عنه أولى بنا . والذي يجب أن يعتقد ؛ أن الله تعالى عصمه وبرأه، ونزهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها .

قال الله تعالى : {وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ }(٢٩) سورة يوسف.

قال ابن كثير : هرب منها طالباً الباب ليخرج منه فراراً منها فاتبعته في أثره ووجدا زوجها لدى الباب ، فبادرته بالكلام وحرضته على يوسف قالت : ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ فاتهمته وهي المتهمة ، وبرأت عرضها ونزهت ساحتها ، فلهذا قال يوسف عليه السلام ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ فاحتاج إلى أن يقول الحق عند الحاجة .. **وشهد شاهد من أهلها ! فمن هو هذا الشاهد ؟** قيل طفل صغير في المهد ، وقيل بل رجل قريب لزوجها.وقيل قريب لها . (ابن عمها) فقال إن كان قميصه قُدَّ (شُقَّ)من قُبُل (من الأمام) فصدقت وهو من الكاذبين ، لأنه يكون قد راودها فدافعته حتى قدت مقدم قميصه .

وإن كان قميصه قُدَّ من دُبُرٍ (من الخلف) فكذبت وهو من الصادقين . لأنه يكون قد هرب منها فاتبعته وتعلقت فيه ، فانشق قميصه لذلك ؛ وكذلك كان . ولهذا قال الله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾ فهذا الذي جرى من مكركن ، أنت راودتيه عن نفسه ثم اتهمتيه بالباطل . ثم أضرب بعلها عن هذا صفحاً فقال ﴿ يوسف أعرض عن هذا (٢٩) ﴾ فلا تذكره لأحد ، لأن كتمان هذه الأمور الأليق والأحسن . وأمرها بالاستغفار لذنبها الذي صدر منها . ولهذا عذرها زوجها من بعض الوجوه ، لأنها رأت مالا صبر لها على مثله ؛ إلا أنه (أي يوسف) عفيف نزيه بريء العرض سليم الناصية (قصص الأنبياء ابن كثير ٢٠٣)

قال تعالى {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (٣٤) سورة يوسف .

قال العلامة الشيخ عبد الحميد طهماز حفظه الله في تفسيره : (وتعطينا الآيات صورة لما يحدث في المجتمعات الغنية المترفة المنحلة البعيدة عن الإيمان بالله تعالى فالاهماك في السرف والترف قد جمد مشاعرهم البشرية ، وأضعف الإحساس الفطري الطبيعي غيرتهم على أعراضهم وشرفهم ، وهذا ما نشاهده في العصر الحاضر في المجتمعات المادية الغربية من تبلد في المشاعر يصل في كثير من الحالات إلى حد الدياثة) وبعدما جمعت امرأة العزيز أمثالها من النسوة اللواتي لُمْنَهَا في حب يوسف ،لأنه لا يليق بمقامها – حسب رأيهن – أن تحب عبدها (فلومهن غير متجه إلى تقبيح الزنا ، فكأنهن لا يرين به شَيْئاً ولا قُبْحاً ، وإنما لومهن متجه إلى كونها لم تُرَاعِ في اختيارها ما يناسبها في مكانتها الاجتماعية المرموقة ﴿ فلما سمعت بمكرهن ﴾ علمت بلومهن لها ، وما يتحدثن به عنها ﴿ أرسلت إليهن ﴾ تدعوهن إلى وليمة في قصرها ، وهيأت مجلساً للطعام يتكئن فيه ، كما هو حال المتكبرين المترفين ﴿ وآتت كل واحدة منهن سكيناً ﴾ لتقطيع ما يقدم لهن من طعام وفاكهة ، وهذا يدل على أن المصريين القدماء قطعوا شوطاً كبيراً في التمدن .

وبعد أن أمرت بتقديم الطعام إليهن ، وانشغلن بتقطيعه وتناوله ، أمرت يوسف عليه السلام أن يظهر أمامهن ، ﴿ وقالت أخرج عليهن ﴾ وما كان عليه السلام يستطيع مخالفة أمرها، فلا يزال يعيش في قصرها، ويبدو أن زوجها لم يفكر في إبعاد يوسف عنها . ﴿ فلما رأينه أكبرنه ﴾ عظمنه لحسنه وجماله ، فدهشن وتحيرن ﴿ وقطعن أيديهن ﴾ أي جرحن أيديهن وسالت دماؤهن ، فما أحسسن بألم الجراح لفرط دهشتهن وحيرتهن وانشغالهن بجماله عليه السلام ...

.. وحولتهن رؤية يوسف من العَذْلِ (اللوم) إلى العَزْرِ (النصر والتأييد) وأحست امرأة العزيز بشيء من الزهو والانتصار وقالت وهي تشير إلى يوسف بإشارة التضخيم ﴿ فذلكن الذي لمتنني فيه ﴾ أي في حبه وعشقه ، ثم اعترفت لهن بكل صراحة قائلة ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ أي عصم نفسه عنها رغم كثرة المراودة وقوتها ورغم اكتمال شبابه ورجولته .

وبعد أن تراجعن عن لومهن وعذلهن لها ، لم تجد غضاضة أن تصارحهن بأنها مازالت عاشقة له ، مشغوفة به ، مصممة على أن تنال مرادها منه ولو بالتهديد والوعيد ﴿ ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين (٣٢) ﴾

ويدل قولها هذا على أن الفضيحة لم تؤثر على مكانتها ، و لم تضعف سلطانها وتسلطها ، فالمجتمعات التي استشرى فيها الفساد والاستبداد لا تؤثر فيها الفضائح ، بسبب إدمانها عليها وكثرتها فيها ..

..لقد عرفت البشرية وواقعها المعاصر كثيراً من أمثال هذا المجتمع المنحل الهابط الذي تتحكم بمصير أبنائه حفنة من الرجال الضعفاء المنحلين ، الذي سيطرت عليهم شهواتهم ونزواتهم ، فأسلموا أمورهم إلى نسائهم وخليلاتهم ، حتى أصبحن الحاكمات الحقيقيات لهذه المجتمعات ، وأصبحت أكبر الشؤون وأخطرها تدار من مخادعهن ، وأماكن لهوهن وفجورهن .[1]

وهذا يفسر لنا بقاء يوسف في قصرها رغم الفضيحة التي حدثت .

إن من المتوقع في مثل هذه الأحوال أن يبادر عزيز مصر إلى إبعاد يوسف عن زوجته بعدما رأى من شدة تعلقها وشغفها به، ولكنه لا يملك قرار الإبعاد ، لأنه بيدها لا بيده فهي الحاكمة الحقيقية وهي صاحبة القرار .

و لم تستطع هذه المرأة بكل سلطانها وجمالها وأنوثتها أن تنتصر على نبي الله يوسف عليه السلام ، الذي لا يزال يعيش قرباً منها في قصرها وتحت أمرها وسلطانها ، وانضم إليها جميع من تعرف من المترفات ، يعرضن معها كل ما يمكن من أسباب الفتنة والإغراء ، وأسباب الوعيد والتهديد .

وما كان عليه السلام صخرة صماء ، لا إحساس لها ولا شعور ،بل كان قلباً إنسانياً كريماً رحيماً ، ينبض بأعلى المشاعر وأرفعها، ولهذا اتجه إلى الله يدعوه ، وهو واقف بينهن ، وهن يراودنه عن نفسه، ويتبارين في عرض مفاتنهن وجمالهن عليه ﴿ قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه (٣٣) ﴾ فاختار عليه السلام أخف الضررين وأهون الشرين ، فالسجن فيه إضرار ببدنه ونفسه، وما يدعونه إليه فيه إضرار بدينه وخلقه ، وهو أشد ضرراً وأعظم خطراً من الأول والسجن بلاء ، لا ينبغي لأحد أن يتمناه، ولكنه عليه السلام آثره على ما يدعونه إليه ..

﴿ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن ﴾ بتثبيته ومعونته سبحانه ﴿.. إنه هو السميع العليم ﴾ ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ..﴾ الدالة على براءة يوسف وأمانته وعفته ﴿ .. ليسجننه حتى حين ﴾ . دون إدانة ولا محاكمة ، ولهذا لم يحددوا مدة معينة لسجنه ، فالحين وقت غير محدد ، وكم في السجون من أبرياء هم ضحايا الفساد والاستبداد)[2]

وأدخل سيدنا يوسف عليه السلام السجن فعلاً ولبث فيه بضع سنين ، (بعد أن خرج من محنته الكبرى في قصر العزيز تقياً نقياً ، ليواجه محنة أخرى ، ضيق السجن وظلمته ووحشته، والشعور بالظلم والاضطهاد، وهو سجن آخر ، للنفس يزيدها هماً وألماً وحسرة .. وكان في السجن يُعَبِّرُ للسجناء رؤاهم، وأحلامهم ، وكان أيضاً يحسن إليهم في معاملته، يواسيهم ويساعدهم ،

---

[1] – حدثني من أثق به أن أحدَ الأغنياء صادر أحدُ الوزراء في الحكم السابق قصرَه ووضع يده عليه ظلماً وعدواناً ، و لم يستطع تخليصه منه رغم مراجعاته الكثيرة إلا بواسطة إحدى النساء اللواتي كان هذا الوزير يخادنها ويعاشرها فعن طريقها وبأمرها رد إليه قصره !

[2] – تفسير سورة يوسف للشيخ العلامة عبد الحميد طهماز ، ط : دار القلم (١٤١٠-١٩٩٠) ص٦٤ بتصرف بسيط .

فهو من المحسنين حقاً ، أحسن في طاعة الله تعالى وعبادته ، وأحسن في معاملته مع الناس ، في سعة القصور، وفي ضيق السجون،بقي عليه السلام محافظاً على جوهره الأصيل المضيء، ثابتاً في مقام الإحسان رغم ما طرأ على حياته من تغيير وتبديل) [1]

وأثناء بقاء يوسف عليه السلام ، أرسل الملك إليه وهو في السجن ليخرجه منه ويفسر له رؤياه بين يديه ولكن يوسف عليه السلام أبى الخروج حتى تظهر براءته للناس ، وتشتهر بينهم، وحتى يعلم من في القصر وغيره أنه لم يخن العزيز في امرأته وطلب التحقيق في هذا الأمر وقال لرسول الملك ﴿ ارجع إلى ربك ﴾ الملك ﴿ فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن (٥٠) ﴾ يوسف .

[ونجح عليه السلام في تحقيق مراده، وبادر الملك إلى التحقيق وباشره بنفسه، وظهرت نتيجة التحقيق براءة يوسف وعفته وأمانته وأنه سجن ظلماً ، فأمر الملك بإحضار النسوة وسألهن سؤال المتهم لهن ﴿ قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ﴾ وفوجئن بالتهمة الموجهة إليهن — فلم يستطعن إنكارها- رغم مالهن من مكانة ووجاهة وسلطان ، فقد وجهت إليهن من الملك ، ولكنهن أعرضن بذكاء ودهاء عن الاعتراف والفضيحة إلى الشهادة ببراءة يوسف ﴿قلن حاشا لله ﴾ أي تنزه الله الذي خلق مثل يوسف عن كل نقص ﴿ما علمنا عليه من سوء ﴾ في أي أمر من الأمور. وهكذا ظهرت براءة يوسف عليه السلام، وأجمع النسوة على ذلك، و لم تجد امراة العزيز بداً من الاعتراف ﴿ قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ﴾ أي ظهر وثبت بعد خفاء ﴿ أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾ وإن يوسف لمن الصادقين في قوله ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ .

ولما علم يوسف عليه السلام بظهور براءته وشهادة النسوة على ذلك واعتراف امراة العزيز قال ﴿ ذلك ﴾ أي بقائي في السجن ومطالبتي بالتحقيق﴿ ليعلم أني لم أخنه بالغيب ﴾ أي ليعلم العزيز أني لم أخنه في غيابه مطلقاً ، فما أدخلت السجن إلا ظلماً ﴿وإن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ فلو كنت خائناً ما نصرني ربي،وأظهر براءتي، لأنه سبحانه لا يوفق الخائنين ولا يسددهم، ولابد أن يأتي يوم يظهر الله تعالى فيه الحق ، ويبطل مكر الخائن ويفضحه .

ثم أظهر تواضعه عليه السلام وافتقاره إلى الله ، وفضله عليه بعصمته عن السوء والفاحشة بقوله ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم (٥٣)﴾ يوسف].[2]

وقال ابن كثير [قيل إن هذا الكلام ﴿ وما أبرئ نفسي ﴾ أنه من كلام يوسف ، وقيل من كلام زليخا (امرأة العزيز) وكونه من كلام زليخا أظهر وأنسب وأقوى ..

ثم قال : وقيل إنه لما مات (زوج زليخا) زَوَّجَهُ (الملك) امرأته زليخا فوجدها عذراء ، لأن زوجها كان لا يأتي النساء ، فولدت ليوسف عليه السلام صبيين .. واستوثق ليوسف ملك مصر ، وعمل فيها بالعدل فأحبه الرجال والنساء ، ونَسَبَ ابن كثير هذا القول إلى أهل الكتاب ثم ذكر بعد ذلك قولاً مشابهاً لم ينسبه لأحد وإنما ذكره بقوله : ويقال : إن قطفير زوج زليخا كان قد مات ، فولاه الملك مكانه ، وزوجه امرأته زليخا فكان وزير صدق] [3]

[وبهذا انتهت محنة يوسف عليه السلام ، وانتقل من ظلمة السجن إلى نور الحرية ، فعلا نجمه وذاع صيته وانتشر خبره ، بينما أفل نجم العزيز وزوجته فلم يعد لهما أي ذكر ، وعلم الناس فضل العفة والأمانة والصدق ، وعلموا أيضاً قبح الخيانة الزوجية والاحتيال والكذب] [4] .

---

[1] – تفسير سورة يوسف ، طهماز ص٦٦ .

[2] – تفسير سورة يوسف للشيخ طهماز ص٧٧ .

[3] – قصص الأنبياء ابن كثير ص٢١٠ .

[4] – تفسير سورة يوسف للشيخ طهماز ص٧٧ .

- ٦ -

زوجة أيوب عليه السلام

وأيوب عليه السلام من الأنبياء الصالحين الذين ذكرهم الحق سبحانه وأثنى عليهم في سورة الأنبياء وسورة ص فقال الله تعالى في سورة الأنبياء ﴿ وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ الآية ٨٤

وفي سورة ص قال الله تعالى ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب ، اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ، ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب ، وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث ، إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب ﴾ الآية ٤١-٤٤

قال في الظلال :[وقصة ابتلاء أيوب وصبره ذائعة مشهورة ؛ وهي تضرب مثلاً للابتلاء والصبر، ولكنها مشوبة بإسرائيليات تطغى عليها .

والحد المأمون في هذه القصة هو أن أيوب عليه السلام كان كما جاء في القرآن عبداً صالحاً أوَّاباً ابتلاه الله فصبر صبراً جميلاً ، ويبدو أن ابتلاءه كان بذهاب المال والأهل والصحة جميعاً ، ولكنه ظل على صلته بربه وثقته به . ورضاه بما قسم له .

وكان الشيطان يوسوس لخلصائه القلائل الذين بقوا على وفائهم له ، ومنهم زوجته بأن الله لو كان يحب أيوب ما ابتلاه ، وكانوا يحدثونه بهذا فيؤذيه في نفسه أشد مما يؤذيه الضر والبلاء . فلما حدثته امرأته ببعض هذه الوسوسة حلف لئن شفاه الله ليضربنها عدداً عيَّنه ، قيل مائة (سوط) .

وعندئذ توجه إلى ربه بالشكوى مما يلقى من إيذاء الشيطان ، ومداخلة نفوس خلصائه ، ووقع هذا الإيذاء في نفسه ﴿ أني مسني الشيطان بنصب وعذاب ﴾ وعرف ربه منه صدقه وصبره ، ونفوره من محاولات الشيطان وتأذّيه به فأدركه برحمته ، وأنهى ابتلاءه ورد عليه عافيته ..

.. ثم قال : فأما قَسَمُهُ ليضربن زوجته ، فرحمة من الله به وبزوجه التي قامت على رعايته وصبرت على بلائه وبلائها به ، أمره الله أن يأخذ مجموعة من العيدان ﴿ ضغثاً ﴾ بالعدد الذي حدده ، فيضربها ضربة واحدة تجزىء عن يمينه ، فلا يحنث فيها ..][1]

وذكر في (قصص القرآن للنجار) ملاحظتين على قصة أيوب وهذه خلاصتهما :

الأولى : حول ما ذكره المفسرون من قصة بلاء أيوب ، وأنه أصابه مرض نفر الناس منه ، وهذا مردود لأنه ينافي عصمة الأنبياء ، لأنهم منزهون عن الأمراض المنفرة ، وأن الذين ذكروا هذا اعتمدوا على ما جاء عن أهل الكتاب .

والثانية : أن القرآن الكريم ذكر أن الله سبحانه أمر أيوب أن يأخذ بيده ضغثاً فيضرب به زوجته ، وبذلك لا يكون حانثاً في يمينه فما هي هذه الحادثة ؟ .

والجواب عن تفسير البيضاوي الذي روى أن زوجته ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف إن برىء ليضربنها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك ، وهي رخصة باقية في الحدود .

---

[1] - الظلال ج٢٣ص ١٠٢

وعن الألوسي : أن امرأته (رحمة) ذهبت لحاجة فأبطأت ، وأبلغت أيوب عن الشيطان أن يقول كلمة محظورة فيبرأ ، وأشارت عليه بذلك .. فحلف ليضربنها إن برىء مائة ضربة ، فأمره الله بأخذ الضغث (وهو الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان) [1]. اهـ

قال ابن كثير عن رخصة الله سبحانه له بضرب زوجته : هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أيوب عليه السلام فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط ، فقيل : حلفه ذلك لبيعها ضفائرها (وشرائها بثمنها طعاماً لزوجها، كما ذكره قبل ذلك) وقيل : لأنه عارضها الشيطان في صورة طيبة يصف لها دواء لأيوب فأتته فأخبرته فعرف أنه الشيطان فحلف ليضربنها مائة سوط ، فلما عافاه الله عز وجل أفتاه أن يأخذ ضغثاً .. وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه ولاسيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة ، المكابدة الصديقة البارة رضي الله عنها .اهـ وكان ابن كثير قد ذكر أنه لما ابتلي أيوب بالمرض ، وانقطع الناس عنه،و لم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت ترعى له حقه،وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها ، فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه ، وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته ، **وضعفت حالها وقل مالها حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه وتقوم بإوده رضي الله عنها وأرضاها وهي صابرة معه على ما حل بها من فراق المال والولد ، وما يختص بها من المصيبة بالزوج ، وضيق ذات اليد ، وخدمة الناس ، بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون** .[3] اهـ

وقد ذكرت ما قاله محققوا المفسرين والمؤرخين وما ردوا به على قصة سيدنا أيوب ، وخصصت بالذكر قصة زوجته التي صبرت على البلاء ، رغم ذهاب المال والولد ، وصبرت أيضاً على الزوج المريض سنين طويلة، ليتأسى بذلك الأزواج والزوجات ، ويصبروا ويصبرن على قضاء الله وقدره ، حتى لا يحرم أحد الأجر الجزيل الذي أعده الله سبحانه للصابرين والصابرات ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾

كما أن قصة هذين الزوجين (سيدنا أيوب وامرأته) فيها الأسوة والقدوة لمن أصابه الضر من مرض أو فقد مال ليصبر ويحتسب ، ويقوم الصحيح بالعناية بالمريض إذ أن حياتنا هذه اختبار وابتلاء من الله لنا ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ وكما قال سبحانه أيضاً ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ أي ابتلاءً ، والحمد لله على كل حال .

---

[1] – قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٣٥١

[3] – قصص الأنبياء ابن كثير ص٢٢٥ .

قصة زواج موسى عليه السلام

وهي من القصص الذي قصه ربنا سبحانه علينا في القرآن وفيها يظهر أثر التوكل على الله سبحانه والالتجاء إليه في المهمات ، وكيف أن الله سبحانه يجعل للمتقين المتوكلين فرجاً ومخرجاً ، وقد قدمنا في فصل سابق (انظر ص٢٦)موجز هذه القصة ونضيف هنا بعض العبر المأخوذة منها والنافعة للأزواج والزوجات ، والآباء والأحماء بإذن الله تعالى ،

قال ابن كثير :لما جلس موسى عليه السلام في الظل وقال : ﴿ رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴾ سمعته المرأتان ، فيما قيل، فذهبتا إلى أبيهما ، فيقال أنه استنكر سرعة رجوعهما ، فأخبرتاه بما كان من أمر موسى عليه السلام فأمر إحداهما ، أن تذهب إليه فتدعوه ﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ فصرحت له بهذا أي الإجزاء بالأجر – لئلا يوهم كلامها ريبة، وهذا من تمام حيائها وصيانتها﴿ فلما جاءه وقص عليه القصص ﴾ وأخبره خبره، وما كان من أمره في خروجه من بلاد مصر فراراً من فرعونها قال له ذلك الشيخ ﴿ لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ أي خرجت من سلطانهم فلست في دولتهم .. ولما أضافه وأكرم مثواه وقص عليه ما كان من أمره بَشَّرَهُ الشيخ الكبير[1] بأنه قد نجا ، فعند ذلك قالت إحدى البنتين لأبيها ﴿ يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ لرعي غنمك ثم مدحته بأنه قوي أمين ..

.. قال لها أبوها : وما عِلْمُكِ بهذا ؟ فقالت إنه رفع صخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة ، وأنه لما جئت معه تقدمت أمامه ، فقال كوني من ورائي ، فإذا اختلف الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق ..

﴿ قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك ، وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين ﴾ .. وذكر ابن كثير حديثاً ؛ أن رسول الله ﷺ قال :(إن موسى عليه السلام آجر نفسه بعفة فرجه وشبع بطنه) ولما رضي موسى عليه السلام بزواجه على إيجار نفسه راعياً لغنم صهره (الشيخ الكبير) فقد وفى بذمته عندما قال له ﴿ ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل ﴾ .. ومع هذا فلم يقض موسى عليه السلام إلا أكمل الأجلين وأتمهما وهو العشر سنين كوامل تامة ..

ويعضد هذا ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه قال لما سأله سعيد بن جبير أي الأجلين قضى موسى فقال : (قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن رسول الله إذا قال فعل)، قال تعالى ﴿ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون (٢٩)﴾ القصص ، فسار بأهله من عند صهره (الشيخ الكبير) وقد اشتاق إلى أهله في مصر ، فقصد زيارتهم في صورة مُخْتَفٍ ، وذلك في ليلة مظلمة باردة ، وتاهوا في طريقهم فلم يهتدوا إلى سلوك الدرب المألوف ..واشتد الظلام والبرد، وبينما هو كذلك إذ أبصر عن بعد ناراً تأجج في جانب الطور الغربي منه عن يمينه فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً ، وكأنه والله اعلم رآها دونهم ، لأن هذه النار هي نور في الحقيقة ولا تصلح رؤيتها لكل أحد .[2]

---

[1] – ذكر ابن كثير وغيره من المفسرين أقوالاً عدة فيمن هو هذا الشيخ الكبير فقيل هو شعيب عليه السلام ، وهو المشهور ، وقيل إن اسمه شعيب ولكن ليس بالنبي صاحب مدين ، وقيل إنه ابن أخي شعيب ،وقيل ابن عمه ، وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب ، وقيل رجل اسمه (يثرون) كاهن مدين ، أي كبيرها وعالمها .إلخ قصص القرآن لابن كثير ص٢٥٥ وقصص القرآن للنجار ص١٦٩

[2] – قصص القرآن لابن كثير ص٢٥٤ وما بعدها بتصرف بسيط واختصار .

فانظر أيها الزوج الوفي وأيتها الزوجة الوفية كيف قاسى نبي الله موسى في الغربة والبعد عن الأهل والأحبة، وآجر نفسه ليعفها،ويكسب لقمة لحلال،وكيف كانت هذه الزوجة المخلصة مطواعة لزوجها،وكم قاست معه في السفر بين الوديان والجبال والبرد والتعب، حتى أكرمه الله بالنبوة ، وأكرمها الله بأن تكون زوجة نبي ، وأم أولاده !..

وقال في قصص الأنبياء : ولما جاء موسى إلى الشيخ وكلمه وطمأنه، قالت إحدى بنات الشيخ - وهي التي دعت موسى – يا أبت استأجره لرعي ماشيتنا ليكفينا مؤونة هذا العمل إن خير من استأجرت القوي الأمين .

ويذكر أصحاب التفسير أن أباها سألها عن أمانته وقوته من أين علمتهما ؟ ونص عبارة المفسر الطبري :[فأحفظته الغيرة (أي غضب بسبب غيرته على بنته) أن قال : وما يدريكِ ما قوته وأمانته ؟ فقالت : أما قوته فما رأيت منه حين سقى لنا ، لم أر رجلاً قط أقوى في السقي منه ، وأما أمانته ؛ فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له ، فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه و لم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك .

ثم قال: إمشي خلفي وانعتي (صفي) لي الطريق و لم يفعل ذلك إلا وهو أمين، فَسُرِّيَ عن أبيها،وصدَّقها،وظن به الذي قالت. نشط الشيخ لرأي ابنته وطلب من موسى أن يخدمه برعي غنمه ثماني سنوات في نظير أن يزوجه بإحدى ابنتيه ، وأشار إليها، وأنه إذا أجمل معه يتم عشر سنوات، فقبل موسى على انه بالخيار في أي الأجلين ، وتمت الصفقة بينهما على ذلك ومن ذلك الوقت صار موسى صهراً لذلك الشيخ وراعياً لغنمه ..

.. وأكثر المفسرين على أن اسم ابنت الشيخ زوج موسى (صفورة)[1]] .

وذكر الفخر الرازي في تفسيره عند قوله تعالى ﴿ فلما جاءه وقص عليه القصص ﴾ قال عمر بن الخطاب ﷺ فقام يمشي والجارية أمامه، فهبت الريح فكشفت عنها فقال موسى عليه السلام إني من عنصر ابراهيم عليه السلام فكوني من خلفي حتى لا ترفع الريح ثيابك فأرى مالا يحل لي، فلما دخل على شعيب فإذا الطعام موضوع، فقال شعيب: تناول يا فتى، فقال موسى عليه السلام، أعوذ بالله، فقال شعيب: و لم ؟ قال: لأنا من أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهباً، فقال شعيب : ولكن من عادتي وعادة آبائي إطعام الضيف ، فجلس موسى عليه السلام فأكل ، وإنما كره أكل الطعام خشية أن يكون ذلك أجرة له على عمله ..) [2]

ومن الخير لنا أن نعيش قصة زواج سيدنا موسى عليه السلام (مع ظلال القرآن) قال رحمه الله عند قوله تعالى : ﴿ فلما جاءه وقص عليه القصص، قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ **فقد كان موسى في حاجة إلى الأمن، كما كان في حاجة إلى الطعام والشراب ولكن حاجة نفسه إلى الأمن أشد من حاجة جسمه إلى الزاد** ، ومن ثم أبرز السياق في مشهد اللقاء قول الشيخ الوقور:﴿لا تخف﴾ فجعلها أول لفظ يعقب به على قصصه ليلقي في قلبه الطمأنينة ويشعره بالأمان ثم بَيَّنَ وعلَّلَ :﴿ نجوت من القوم الظالمين ﴾ فلا سلطان لهم على مدين ،ولا يصلون لمن فيها بأذى ولا ضرر .

ثم نسمع في المشهد صوت الأنوثة المستقيمة السليمة :﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ إنها وأختها تعانيا من رعي الغنم ، ومن مزاحمة الرجال على الماء ، ومن الاحتكاك الذي لا بد منه للمرأة التي تزاول أعمال الرجال، وهي تتأذى وأختها من هذا كله، وتريد أن تكون امرأة تأوي إلى بيت، امرأة عفيفة مستورة ، لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى . المرأة العفيفة الروح ، النظيفة القلب ، السليمة الفطرة ، لا تستريح لمزاحمة الرجال ، ولا للتبذل الناشىء من هذه المزاحمة .

---

[1] – قصص الأنبياء ص ١٦٨

[2] – التفسير الكبير للفخر الرازي ١٢ج٢٤٢ص

وهاهو ذا شاب غريب طريد ، وهو في الوقت ذاته قوي أمين . رأت من **قوته** ما يهابها الرعاء فيفسحون له الطريق وهو يسقي لهما وهو غريب .

والغريب ضعيف مهما اشتد ، ورأت من **أمانته** ما يجعله عف اللسان والنظر حين توجهت لدعوته . فهي تشير على أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك والتبذل ، وهو **قوي** على العمل **أمين** على المال ؛ فالأمين على العرض هكذا أمين على ما سواه ، وهي لا تتلعثم في هذه الإشارة ولا تضطرب ، ولا تخشى سوء الظن والتهمة ، فهي بريئة النفس، نظيفة الحس ومن ثم لا تخشى شيئاً ، ولا تتمتم ولا تجمجم وهي تعرض اقتراحها على أبيها ..

.. واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته ، ولعله أحس من نفس الفتاة ونفس موسى ثقة متبادلة ، وميلاً فطرياً سليماً صالحاً لبناء أسرة ، والقوة والأمانة حين تجتمعان في رجل لاشك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة التي لم تفسد و لم تتلوث و لم تنحرف عن فطرة الله ، فجمع الرجل بين الفتاتين وهو يعرض على موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه في مقابل أن يخدمه ويرعى ماشيته ثماني سنين ، فإن زادها إلى عشر فهو تفضل منه لا يلزم به .

.. وهكذا في بساطة وصراحة عرض الرجل إحدى ابنتيه،وهي التي وقع التجاوب والثقة بين قلبها وقلب الفتى، عرضها في غير تحرج ولا التواء، فهو يعرض نكاحاً لا يخجل منه . يعرض بناء أسرة وإقامة بيت، وليس في هذا ما يخجل ، ولا ما يدعوا على التحرج والتردد.والإيماء من بعيد ، والتصنع والتكلف مما يشاهد في البيئة التي تنحرف عن سوء الفطرة ..

.. ولقد كان الآباء يعرضون بناتهم على الرجال على عهد رسول الله ﷺ ، بل كانت النساء تعرض نفسها على النبي ﷺ ، أو من يرغب في تزويجهن منهم . كان يتم هذا في صراحة ونظافة وأدب جميل ، لا تخدش معه كرامة ولا حياء ..

عرض عمر ﷺ ابنته حفصة على أبي بكر فسكت وعلى عثمان فاعتذر ، فلما أخبر النبي ﷺ بهذا طيب خاطره عسى أن يجعل الله لها نصيباً فيمن هو خير منهما . ثم تزوجها رسول الله ﷺ . [1]

وعرضت امرأة نفسها على رسول الله ﷺ فاعتذر لها ، فألقت ولاية أمرها إليه يزوجها ممن يشاء ، فزوجها رجلاً لا يملك إلا سورتين من القرآن ، علمها إياها فكان هذا صداقها .

ويمثل هذه البساطة والوضاءة سار المجتمع الإسلامي يبني بيوته ويقيم كيانه ..

.. وهكذا صنع الشيخ الكبير – صاحب موسى – فعرض على موسى ذلك العرض واعداً إياه ألا يشق عليه ولا يتعبه في العمل ، راجياً بمشيئة الله أن يجد موسى من الصالحين في معاملته ووفائه . وهو أدب جميل في التحدث عن النفس وفي جانب الله ، فهو لا يزكي نفسه ، ولا يجزم بأنه من الصالحين ، ولكن يرجو أن يكون كذلك ، ويكل الأمر في هذا لمشيئة الله .

وقبل موسى العرض وأمضى العقد (عقد الزواج) في وضوح ودقة ، وأشهد الله :﴿ قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي ، والله على ما نقول وكيل ﴾ إن مواضع العقد وشروط التعاقد لا مجال للغموض فيهـــا ، ولا اللعثمـــة ولا الحياء ،ومن ثم يقر موسى العرض ، ويبرم العقد ، على ما عرض الشيخ من الشروط ، ثم يقرر هذا ويوضحه ﴿ أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي ﴾ سواء قضيت ثماني سنوات أو أتممت عشراً ، فلا عدوان في تكاليف العمل ، ولا عدوان في تتميم العشر، فالزيادة على الثمانية اختيار ﴿ والله على ما نقول وكيل ﴾ فهو الشهيد الموكل بالعدل بين المتعاقدين، وكفى بالله وكيلاً .[2]

---

[1] – انظر ذلك في قصة زواج حفصة في الفصل الثاني الآتي .

[2] – ظلال القرآن ج٢٠ص٥٨

الفصل الثاني

زهرات من بساتين رسول الله ﷺ

والكتب التي تحدثت عن الأزواج والزوجات ، عن أخبارهم ، وطرائفهم ، وحياتهم وما يجري فيها من نافع طيب ، أو من خصام ضار ، وعن قواعد صيانة الحياة الزوجية ، وأسس التعامل بين الزوجين ، عن حقوق الأزواج والزوجات وواجباتهم ، عن أدب العلاقات الزوجية ، وحسن استثمارها ، ووسائل دوام الحب بين الزوجين ، وغير ذلك كثير ، كثير ، في القديم والحديث ..

وسنقطف من رياض هذه الكتب زهرات ، أو طاقات زهر ، نقدمها لأحبتنا الأزواج والزوجات ، هدايا ووصايا ، لعلهم يجدون فيها ما نحب لهم من زاد ؛ في سفر الحياة الزوجية ، أو يجدون دواءً لعلاج صَدْعٍ فيها لم يَكْبُرْ ، أو بلسماً لجرح لم يتعمق بعد .. أو دعماً لمسيرة المودة والرحمة التي نتمناها لهم ..

وذلك إضافة لما سطرناه وكتبناه ، ونقلناه وقدمناه في المباحث السابقة ، وما يليها من قصص القرآن .. والله المسؤول أن ينفع ويرفع ، ويشفي ويعافي ؛ كل من قرأها أو اطلع عليها ، فيدعون لنا دعوة صالحة ولا ينسونا من كلمة طيبة ...

وبساتين رسول الله ﷺ فيها الكثير النافع ، ومن بساتينه ﷺ يقتطف كل الصالحين لحياتهم الزوجية وغيرها ..

الزوج المثالي ، والزوجات الطاهرات

وسأبدأ بقصص زواج خير الأزواج ؛ الزوج المثالي ، ألا وهو الحبيب المصطفى ﷺ ، فهو الأسوة والحسنة والقدوة العليا في كل شؤون الحياة ، وأهم هذه الشؤون الدنيوية ؛ زواجه ﷺ من نسائه الطاهرات :

بعض الحقائق عن زواج رسول الله ﷺ :

وقبل أن أتكلم عن زواج الرسول الكريم ﷺ بزوجاته أحب أن أذكر بعض الحقائق : **أولاً** :

١- أن الزوجة الأولى والمرأة الأولى التي كانت في حياة رسول الله ﷺ هي السيدة الطاهرة خديجة بنت خويلد ، و لم يتزوج عليها امرأة حتى توفيت ، وهذا يشير بوضوح إلى وفاء الرسول الكريم ﷺ لزوجته التي شاركته أصعب سنوات حياته وأشقها عليه ، فأكرمها بأن لم يتزوج عليها حتى توفيت. ومواقفها في نصر الدعوة وتأييد النبي ﷺ معروفة مذكورة، وقد أعطت لرسول الله ﷺ كل ما تملك من حب ومال وجاه ، وما تستطيع أن تقدمه امرأة لرجل حتى لقيت الله سبحانه ، وهي التي أقرأها جبريل من ربها السلام وبشرها ((ببيت في الجنة من قصب (اللؤلؤ المجوف) لا نصب (تعب) فيه ولا صخب)) (ضوضاء) .

٢- أن أزواجه من نسائه بعدها كن كلهن أرامل ؛ إلا السيدة عائشة رضي الله عنهن ، وكان قصده من الزواج بعامة ؛ تأليف القبائل العربية من أجل الدعوة ، وخفض شوكة معاداتهم للإسلام ، وهذا واضح من سيرته الشريفة ﷺ .

٣- و لم يكن زواجه من هؤلاء النسوة بقصد المتعة الجسدية – كما يحلو لبعض المستشرقين – وأعداء الإسلام أن يصفوه به . فإن الذي يبغي متعة الجسد إنما هو من يكون في عز شبابه ، وقد تزوج ﷺ في عنفوان شبابه سيدة تكبره بخمسة عشر عاماً ؛ ولما توفيت كان عمره ﷺ ثلاث وخمسون عاماً فأين المتعة وأين الشهوة ؟!

٤- أن أفعال النبي ﷺ كلها بأمر من ربه ووحي ، ولا ينطق عن الهوى ، ولا يفعل فعلاً ليس فيه رضى ربه وطاعته

٥- وسوف ترى ذلك في قصة زواج كل واحدة من زوجاته لطاهرات رضي الله عنهن أجمعين . [1]

ثانياً : (ومن نظر في حياة الرسول ﷺ عرف جيداً أن زواجه بهذا العدد الكبير من النساء في أواخر عمره لم يكن لأجل أنه وجد بغتة في نفسه قوة عارمة من الشبق لا يصبر معها إلا بمثل هذا العدد الكبير من النساء ، بل كانت هناك أغراض أخرى أجل وأعظم .. فاتجاه الرسول ﷺ إلى مصاهرة أبي بكر وعمر بزواجه بعائشة وحفصة ، وكذلك تزويجه ابنته فاطمة بعلي ﷺ ،وابنتاه رقية وأم كلثوم بعثمان ﷺ يشير إلى أنه يبغي من وراء ذلك توثيق الصلات بالرجال الأربعة الذين عرف بلاءهم وفداءهم للإسلام في الأزمات التي مرت به وشاء الله أن يجتازها بسلام .

وكان من تقاليد العرب الاحترام للمصاهرة ، فقد كان الصهر عندهم باباً من أبواب التقرب بين القبائل المختلفة ، وكانوا يرون معاداة ومحاربة الأصهار سُبَّةً وعاراً على أنفسهم ، فأراد رسول الله ﷺ بزواجه بعدةٍ من أمهات المؤمنين أن يكسر سَوْرَة عداء القبائل العربية للإسلام ..

كانت أم سلمة من بني مخزوم ، قبيلة أبي جهل وخالد بن الوليد ، فلما تزوجها رسول الله ﷺ لم يقف خالد مع المسلمين موقفه الشديد الذي كان يوم أحد بل أسلم بعد مدة غير طويلة طائعاً راغباً ، وكذلك أبو سفيان لم يواجه رسول الله ﷺ بأي محاربة بعد زواجه بابنته أم حبيبة

وكذلك لا نرى من قبيلتي بني المصطلق وبني النضير أيَّ استفزاز وعداء بعد زواجه بجويرية وصفية ، بل كانت جويرية أعظم النساء بركة على قومها ، فقد أطلق الصحابة أسْرَ مائة بيت من قومها حين تزوجها رسول الله ﷺ ، وقالوا أصهار رسول اللهﷺ . ولا يخفى ما لهذا المنِّ من الأثر البالغ في النفوس .

وأكبر من ذلك وأعظم أن النبي ﷺ كان مأموراً بتزكية وتثقيف قوم لم يكونوا يعرفون شيئاً من آداب الثقافة والحضارة ، والتقيد بلوازم المدنية ، والمساهمة في بناء المجتمع وتعزيزه .

والمبادىء التي كانت أسساً لبناء المجتمع الإسلامي ، لم تكن تسمح للرجال أن يختلطوا بالنساء ، فلم يكن يمكن تربيتهن وتعليمهن مباشرة ، و لم تكن لحاجة إلى هذه التربية ولتعليم للنساء أقل من الرجال بل كانت أشد وأقوى .

وإذن فلم يكن للنبي ﷺ سبيل إلا أن يختار من النساء ؛ الأعمار والمواهب ما يكفي لهذا الغرض ، فيزكيهن ويربيهن، ويعلمهن الشرائع والأحكام ، ويثقفهن بثقافة الإسلام حتى يعدَّهن لتربية البدويات والحضريات ،العجائز والشابات ، فيكفين مؤونة التبليغ للنساء .

وقد كان لأمهات المؤمنين فضل كبير في نقل أحواله ﷺ المترلية للناس ،خصوصاً من طالت حياتهن كعائشة ، فإنها روت كثيراً من أفعاله وأقواله . وكان هناك نكاح واحد لنقض تقليد جاهلي متأصل ، وهي قاعدة التبني ، كما سنرى في زواج زينب بنت جحش ،.. ولهدم هذه القاعدة المتأصلة الجازمة لا يمكن هدمها أو تعديلها لمجرد القول بل لابد له من الفعل ، كما في عمرة الحديبية) [1]

---

[1] – من كتاب سيرة خير البشر لمحمد حبش باختصار .

[1] – من الرحيق المختوم للمباركفوري باختصار وتصرف بسيط .

ثالثاً : [كانت زوجات الرسول ﷺ معلمات النساء ، فكن ينقلن ما يفهمن من القرآن والسنة إلى الأخريات بحكم عيشهن معه ﷺ ، وكان الرسول ﷺ يهتم بتعليم زوجاته لكي ينقلن عنه إلى النساء الأخريات وإلى الأجيال القادمة أيضاً ، فكان ما يقوله وما يشاهدنه ينتقل بواسطة أمنا صفية رضي الله عنها إلى أهالي خيبر ، وبواسطة أمنا ميمونة إلى بني عامر بن صعصعة ، وبواسطة أمنا أم سلمة رضي الله عنها إلى بني مخزوم ، وعن طريق أمنا أم حبيبة رضي الله عنها إلى بني أمية ، وعن طريق أمنا جويرية رضي الله عنها إلى بني المصطلق .

فهؤلاء الزوجات الطاهرات لم يكن يُقَصِّرْنَ في وظيفة الإرشاد والتبليغ عن رسول الله ﷺ إلى قبائلهن وأقاربهن ، وكانت هذه القبائل تفتخر بمصاهرتها مع الرسول ﷺ] [1].

١ – قصة زواج الصادق الأمين بالسيدة الطاهرة خديجة بنت خويلد

تروي لنا كتب السيرة أن السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بعد ما أرسلت سيدنا محمداً ﷺفي تجارة لها إلى الشام مع غلامها ميسرة ، رأت فيما يرى النائم (أن شمساً عظيمة تهبط من سماء مكة لتستقر في دارها ، فتملأ جوانب الدار نوراً ، وينتشر ذلك النور ، ويفيض من دارها ليغمر كل ما حولها بضياء مبهر ، يبهر النفوس قبل أن يبهر الأبصار) .

وكانت قبل هذه الرؤيا مع صويحباتها في أحد أعياد الجاهلية عند الكعبة ، فرآهن يهودي هناك فقال لهن (يا معشر نساء قريش ؛ إنه يوشك أن يظهر في مكة نبي ، قد اقترب وجوده ، فمن استطاعت أن تكون له فراشاً (زوجة) فلتفعل)

ولما حدثها غلامها ميسرة عن أخلاق سيدنا محمد ﷺ التي رآها في سفره معه إلى الشام تاجراً ، وعن إظلال الغمام له في شمس النهار ، وما قاله له نسطورا الراهب في بصرى عنه ، قويت رغبة السيدة خديجة بأن تكون زوجة الصادق الأمين ، فذهبت إلى ابن عمها (ورقة ابن نوفل) وقصت عليه رؤياها التي رأت في المنام ، وحكت له ما حدثها ميسرة عنه من إظلال الغمام ، وعن صدقه وأمانته وعظيم أخلاقه ، فقال ورقة ابن نوفل لخديجة :

لئن كان هذا الذي تقولين حقاً يا خديجة ، فإن محمداً نبي هذه الأمة . ولقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر ، وهذا زمان ظهوره .

فرغبت السيدة خديجة أشد الرغبة في أن تكون زوجة كريمة ، وخادمة أمينة لهذا النبي المنتظر .

فهل تعرض نفسها عليه ؟ أم ترسل دسيساً (وسيطاً) بينها وبينه ، وكان أكابر الملأ من قومها من التجار يطلبون زواجها فتأبى ! وقررت ألا يفوتها هذا الخير ، فأرسلت صديقتها (نفيسة بنت منية) دسيساً إلى ذلك الشاب الكريم محمد ﷺ لتدبر لها أمر الخطبة .

جاءت نفيسة إلى الشاب الحيي الكريم وقالت له :

– يا محمد : ما يمنعك من الزواج ؟ فقال لها :

– ما بيدي ما أتزوج به . فقالت نفيسة :

– فإن كُفِيتَ ذلك !ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ؟! ألا تجيب ؟! فقال الحبيب الكريم ﷺ

– ومن هي ؟! قالت نفيسة :

---

[1] – من كتاب النور الخالد (محمد ﷺ) مفخرة الإنسانية ، تأليف محمد فتح الله كولن ، ط١ استانبول ج٢ ص ١٠٢ .

- خديجة بنت خويلد ! فقال الرسول الكريم :

- وكيف لي بذلك ؟! قالت :

- عليَّ هذا الأمر ، فأنا أدبره لك ، وحدثت نفيسة خديجة عن قبوله بالزواج منها ، فأرسلت خديجة إليه وقالت له :

- يا ابن عم : إني قد رغبت فيك لقرابتك ، وسِطَتِكَ (شرفك) في قومك ، وأمانتك وحسن خلقك ، وصدق حديثك .

وخرج الشاب الحيي الكريم محمد ﷺ من عند خديجة ، وقد قوي عزمه على الزواج ، وفي طريق عودته ، قالت له بعض نساء الحي :

فوالله يا محمد ما في قريش امرأة ، وإن كانت خديجة ، إلا تراك كفؤاً لها (مناسباً) . وقال بعض أهل مكة لخديجة :

لا تزهدي خديج في محمد نجم يضيء كإضاء الفرقد

عرض الرسول الكريم المهذب ، أمر الزواج على أعمامه ، وكلمهم في أمر خطبة خديجة من ولي أمرها، فَسُرَّ أعمامه بذلك، وخرجوا معه إلى منزل خديجة يتقدمهم رؤساء قريش .

اجتمع أقرباء خديجة في منزلها وعلى رأسهم عمها عمرو بن أسد فقال حمزة بن عبد المطلب ، عم النبي ﷺ لأخيه أبي طالب ، وكان من أكبر الأعمام ، قم على وليها عمرو فاخطبها منه فقام أبو طالب (خطيباً) والقوم ينصتون إليه فقال :

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ،وجعلنا حضنة بيته ، وسُوَّاس حرمه ، وجعل لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس .

أما بعد : فإن محمداً ممن لا يوزن به فتىً من قريش إلا رجح به شرفاً ونبلاً ،وفضلاً وعقلاً ، وإن كان في المال قُلٌّ (قليل) فإن المال ظل زائل وأمر حائل ، وعارية مسترجعة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم ، وخَطْبٌ جليل ، وقد خَطَبَ إليكم رغبة في كريمتكم خديجة .

فقام ورقة بن نوفل وكان أكبر القوم سناً فقال مجيباً لأبي طالب :

الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضَّلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله ،لا تنكر العرب فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ،وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي يا معشر قريش : أني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد ابن عبد الله على أربعمائة دينار ثم جلس ورقة فقال أبو طالب :

قد أحببت أن يشركك في رأيها عمها (عمرو بن أسد) ! فقال عمرو : هو الفحل لا يجدع أنفه ، اشهدوا يا معشر قريش ؛ أني أنكحت (زوجت) محمداً بن عبد الله خديجة بنت خويلد على ما ذكر ورقة من المهر) وتم قبول أبي طالب نيابة عن ابن أخيه بهذا الزواج وتمت الفرحة والسرور وقال أبو طالب الحمد الله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم.

أُعْلِنَ الزواج واكتمل البشر ، وظللت السعادة واليسر ذينك الزوجين الكريمين ، وقامت السيدة خديجة الطاهرة بحقوق زوجها الكريم حق القيام ، فكانت الزوجة الوفية ، والصديقة المخلصة ، والخادمة الأمينة ،والأم الكريمة التي سهرت على حياة زوجها وأولادها فكانت نعم العون ونعم الزوجة الصالحة ، ونعم الأم المربية وقد كان عمرها حين زواجها من الرسول الكريم أربعين عاماً ، وكان عمره خمس وعشرون عاماً .

فضلها وسلام الله عليها مع جبريل : تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : ما غِرْت على امرأة ، ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها ، قالت وتزوجني بعدها بثلاث سنين ، وأمره ربه عز وجل ، أو جبريل عليه السلام أن

يبشرها ببيت في الجنة من قصب . رواه البخاري ، وروى أيضاً عنها أنها قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءً ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له : كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول ؛ إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (أتى جبريل النبي ﷺ فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها من ربها السلام وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب) رواه البخاري .

ورزق الله سبحانه رسوله منها الأولاد فولدت له (القاسم وعبد الله) ورقية ، وزينب وأم كلثوم ،وفاطمة) وماتت في حياته ﷺ بعد النبوة بعشر سنين في رمضان ودفنت في مكة في الحجون (مقبرة مكة في المعلاة) اهـ [1]

٢- قصة زواج الرسول الكريم ﷺ من سودة بنت زمعة :

توفيت السيدة الكريمة خديجة ، وبقي رسول الله ﷺ بلا زوج ، وبقيت بناته الطاهرات بلا أم ، والأنبياء في طبائعهم بشر يَهْوُونَ من الكمالات ما يهوى البشر ويحتاجون ما يحتاج البشر { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } (١١٠) سورة الكهف

وقد أكرمهم الله بالوحي ، ليقتدي بهم الناس ..

فهل يبقى رسول الله بلا زوج يسكن إليها ؟! وبلا امرأة تسد الحاجة البشرية التي جبلها الله في الناس ؟ وإن كان لا توجد امرأة تسد الخلة التي سدها خديجة أفلا امرأة تَسُدُّ بعضها ؟!

وأحسَّتْ بعض المسلمات من أزواج أصحاب الرسول الكريم بهذا الذي يحسه رسول الله ﷺ من فَقْدِ خديجة فجاءت تلك المرأة المؤمنة (خولة بنت حكيم) السُّلَمِيَّة امرأة صاحبه القديم عثمان بن مظعون رضي الله عنها إليه وقالت :

- يا رسول الله ؛ كأني أراك قد دخلتك خَلَّةٌ لفقد خديجة ؟! فقال ﷺ
- أجل ؛ كانت أم العيال وربة البيت ، فقالت خولة :
- أفلا أخطب عليك ؟ قال ﷺ :
- بلى ؛ فإنكن معاشر النساء أرفق بذلك .

فمن تكون تلك المرأة المحظية برسول الله ﷺ ؟! وأعملت خولة بنت حكيم عقلها ، وجالت بفكرها بين نساء المسلمات لتختار المرأة التي تناسب رسول الله ﷺ ، ووقع في خاطرها امرأتان ؛ **الأولى** ، امرأةٌ أَيِّمٌ ذات سِنٍ ، من المسلمات الأوائل المهاجرات إلى الحبشة هي وزوجها ، أسلمت بمكة قديماً وبايعت الرسول ﷺ وقد تأيَّمت (ترملت) منذ زمن ليس ببعيد، فهي تصلح مؤنسة وسكناً لرسول الله ﷺ ..إنها سودة بنت زمعة بن قيس العبشمية (القرشية)

لقد قدمت هي وزوجها السكران بن عمرو من الحبشة وما لبث أن توفي عنها زوجها ، وأصبحت أيماً ..

والثانية : ابنة صديقه وأخيه الحميم أبي بكر الصديق ، ولكنها لا تزال طفلة لم تتجاوز عامها السادس .

---

[1] - من السيرة النبوية الميسرة للأطفال للمؤلف، وطبقات ابن سعد ، وابن هشام ، والروض الأنف للسهيلي.

- وكان قرار خولة بنت حكيم حكيماً ! تخطب له المرأتان ، سودة يتزوجها حالاً ، وعائشة تخطبها له من أبيها لتكون زوجته مآلاً ، بعد بلوغها سن الزواج .. وهكذا فعلت خولة ..

وهل كانت سودة تتمنى ما تمنت خديجة من قبل ؟ أن تكون زوجة لرسول الله ﷺ بعد تأيمها ؟!

لقد قالت بعض نساء الحي قديماً للرسول الكريم ﷺ : (فوالله يا محمد ، ما في قريش امرأة وإن كانت خديجة ، إلا تراك كفؤاً لها) ولماذا لا تتمنى المرأة الصالحة الرجل الصالح ؟! إن هذا من خصال الفطرة ..

رؤيا عجيبة للسيدة سودة :

وقدر الله سبحانه لسودة ، أن ترى في منامها قبل وفاة زوجها رؤيا استغربتها ، قصتها على زوجها قالت له : رأيت في المنام كأن النبي ﷺ أقبل يمشي حتى وطىء على عنقي ، فقال لها زوجها :

- وأبيك (قَسَمٌ) لئن صدقت الرؤيا لأموتنَّ وليتزوجنَّك رسول الله ﷺ ! وأدهشها تأويل زوجها لرؤياها فقالت باستغراب وحياء : حِجْراً وسِتْراً (أي كأنها تستبعد هذا الخبر ، وهذا التأويل ، وتنفي عن نفسها هذه الفاجعة)

رؤيا أخرى أعجب من الأولى :

ولكن أقدار الله سبحانه تسوق عباده إلى قضائه وإرادته .. وشغل فكرها تعبير زوجها لرؤياها ، وأخذت من نفسها شغلاً، فرأت في المنام ليلة أخرى أعجب من الأولى ..

رأت أن قمراً أنقض عليها من السماء وهي مضطجعة .. ودهشت إن لم تكن فزعت من الرؤيا فقصتها على زوجها ، فقال لها معبراً بصدق رؤياها :

- وأبيك لئن صدقت رؤياك ، لم ألبث يسيراً حتى أموت وتزوجين من بعدي !!

وصدقت الرؤيا و لم يلبث زوجها الصحابي الجليل السكران بن عمرو ﷺ المهاجر إلى الحبشة معها أن اشتكى (مَرِضَ) من يومه وبعد أيام قلائل توفي إلى رحمة الله ورضوانه .. وأحَلَّتْ سودة رضي الله عنها من عدتها وقامت (خولة بنت حكيم) بدورها في خطبة النساء ، فأرسل رسول الله إلى سودة قائلاً :

- مُرِي رجلاً من قومك يزوجك ؟ ففعلت رضي الله عنها ، وأرسلت إلى ابن عمها ؛ (حاطب بن عمرو بن عبد شمس) فتولى أمر عقد زواجها، وكان هذا في رمضان سنة عشر من النبوة قبل الهجرة، وبعد وفاة خديجة رضي الله عنهما.

سودة تجعل يومها لعائشة :

وهاجرت بعد النبي ﷺ إلى المدينة ، وعاشت مع رسول الله ﷺ أكرم عيشة وأهنأها ، ولما تزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر وكانت سودة قد أَسَنَّتْ وكَبِرْتُ وعلمت حب رسول الله ﷺ لعائشة فأرادت التقرب إلى رسول الله ﷺ بتقديم يومها الذي يصيبها من رسول الله لعائشة فقالت : يا رسول الله يومي الذي يصيبني لعائشة، وأنت منه في حل ، فقبل النبي ﷺ ونزل في ذلك قوله تعالى : {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (١٢٨) سورة النساء.

ولكن رسول الله ﷺ ما أراد لها أن تبقى زوجة بلا زوج وهي التي تبرعت لعائشة بليلتها من رسول الله ﷺ فرأى أن يتحلل منها وتكون حرة في نفسها فأرسل إليها بطلاقها حتى تكون أميرة نفسها ، وقال لها اعتَدِّي ولكنها رضي الله عنها أرادت غير ذلك فقالت لرسول الله ﷺ :

- أنشدك بالذي أنزل عليك كتابه واصطفاك على خلقه لم طلقتني ؟ لموجدة وجدتها فيَّ (أَلِغَضَبٍ عليَّ) قال : لا ، قالت : فإني أنشدك بمثل الأولى ، إمَّا راجعتني (إلى عصمتك زوجة لك) وقد كَبِرْتُ ولا حاجة لي في الرجال ، ولكني أحب أن أُبْعَثَ في نسائك يوم القيامة (زوجة لك) فراجعها النبي ﷺ إلى عصمته زوجة ، فقالت حينئذ :

- فإني قد جعلت يومي وليلتي لعائشة حِبَّةَ رسول الله ﷺ .

وعرفت السيدة عائشة لها تقديرها فكانت تقول : ما من امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها (جلدها) من سودة بنت زمعة .

وكانت سودة رضي الله عنها تؤانس النبي ﷺ وتضحكه ببعض الأمور من الفكاهات تبتغي بذلك سروره ومرضاته .

ولما حج رسول الله ﷺ حجة الوداع وكان معه نساءه ، قال لهن : ((هذه الحجة ثم ظهور الحصر)) أي تكفي حجة الإسلام ، ولتبقى كل واحدة في بيتها ، فالتزمت رضي الله عنها وصية النبي ﷺ و لم تحج بعدها وكانت تقول لمن ينشطها للحج والعمرة : حججت واعتمرت فأنا أقر في بيتي كما أمرني الله عز وجل ، لا أحج بعدها أبداً .

وبقيت بعد وفاة رسول الله ﷺ تتعبد ، وتتصدق بما يأتيها من نصيبها من أرض خيبر ،ولقد أرسل إليها سيدنا عمر ﷺ بغرارة (كيس يوضع فيه التمر) من دراهم فقالت ما هذه ؟ قالوا : دراهم ، قالت : (في الغرارة مثل التمر ؟!) يا جارية، أعطني قناعي ، ففرقتها كلها صدقة لله على الفقراء والمساكين .

وتوفيت رضي الله عنها في المدينة المنورة في شوال سنة ٥٤ هـــ في خلافة معاوية ابن أبي سفيان ﷺ رحمها الله ورضي عنها (طبقات ابن سعد) ج ٨ ترجمة السيدة سودة بنت زمعة .

٣ – قصة زواج السيدة عائشة رضي الله عنها :

قال ابن سعد في الطبقات : (لما ماتت خديجة رضي الله عنها حزن عليها النبي ﷺ حزناً شديداً ، فبعث الله جبريل فأتاه بعائشة في مهد فقال : يا رسول الله هذه تُذْهِب بعض حزنك ،وإن في هذه خلفاً من خديجة . ثم ردها ،فكان رسول الله ﷺ يختلف إلى بيت أبي بكر ويقول : يا أم رومان استوصي بعائشة خيراً واحفظيني فيها .

فكان لعائشة بذلك منزلة عند أهلها ولا يشعرون بأمر الله فيها .

وأتاهم رسول الله ﷺ يوماً في بعض ما كان يأتيهم ، وكان لا يخطئه يوماً واحداً أن يأتي إلى بيت أبي بكر منذ أسلم إلى أن هاجر ، فوجد عائشة متسترة بباب دار أبي بكر تبكي بكاءً حزيناً ، فسألها فشكَتْ (من) أمها ، وذكرت أنها تولع بها (تغرى بها) أباها فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، ودخل على أم رومان فقال :

- يا أم رومان ألم أوصك بعائشة ، أن تحفظيني فيها ؟ فقالت أمها :

يا رسول الله إنها بَلَّغَتِ الصديق عني وأغضبته علينا ! فقال النبي ﷺ :

- وإن فعلت فقالت أم رومان :

- لا جرم ، لا سُؤْتُها أبداً)[1] وروى أيضاً في طبقاته (أن رسول الله ﷺ وَجَدَ (حزن) على خديجة حتى خشي عليه ، حتى تزوج عائشة) [2] ج٨ص٦٠

---

[1] – طبقات ابن سعد ج٨ص ٧٨

[2] – نفس المصدر ج٨ ص٦٠

إذن لقد كان اللطيف الخبير يهيئ لحبيبه المصطفى زوجة تخلفه في خديجة بعد موتها ، فكانت عائشة هي التي تذهب بعض حزنه عليها !

الرسول الكريم ﷺ يراها زوجة له في منامه :

وإن كانت خديجة رضي عنها رأت في منامها ما يُعَبِّرُ لها بأنها ستكون زوجة للمصطفى ﷺ وكذلك سودة رضي عنها رأت في منامها .

فماذا عن عائشة ؟ إن الأمر يختلف هنا ، **فلقد كان الرائي هذه المرة في المنام هو رسول الله ﷺ فقد رأى في منامه ، مرتين أنها زوجته** ، وكان جبريل قد أتاه بها وهي صغيرة في مهد قائلاً له إن في هذه خلفاً لخديجة .

فماذا رأى رسول الله ﷺ في منامه ؟ تحدث بذلك السيدة عائشة كما يروي ابن سعد في طبقاته عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ (أُرِيتُك في المنام مرتين) أرى رجلاً يحملك في سَرَقَةٍ حرير (قماش من حرير) فيقول هذه امراتك فاكشف عنها فإذا هي أنت ، فأقول : إن يك هذا من عند الله يُمْضِه . [1]

وقد كانت (خولة بنت حكيم) زوجة (عثمان بن مظعون) رضي عنها قالت لرسول الله ﷺ بعد وفاة خديجة ؛ يا رسول الله ، كأني أراك قد دخلتك خَلَّةٌ لفقد خديجة ؟ فقال ﷺ أجل كانت أم العيال ، وربة البيت ! فقالت :

أفلا أخطب عليك ؟ فقال : بلى ، فإنكن معاشر النساء أرفق بذلك .

وخطبت له – كما ذكرنا – سودة بنت زمعة فتزوجها وبنى بها في مكة المكرمة قبل الهجرة ، وعائشة بنت صديقه وصاحبه أبي بكر تزوجها (عقد عليها) في مكة وهي بنت ست سنين ، وبنى بها في المدينة بعد الهجرة بنت تسع سنين بعد بلوغها مبلغ النساء ، (والنساء في بلاد الحجاز ، والبلاد الحارة يبلغن مبكرات)

ووافقت خطبة خولة لعائشة ، ما كان رسول الله ﷺ رآه في منامه أنها امرأته ، وما كان أخبره به جبريل أنها ستكون خلفاً لخديجة ، تُذْهِبُ بعض حزن الزوج الوفي عليها .

وقد استشكل سيدنا أبو بكر خطبة أخيه وصديقه وخليله رسول الله ﷺ لها لما خطبها فقال له :

- إي رسول الله ؛ أيتزوج الرجل ابنة أخيه ؟ فقال ﷺ :
- إنك أخي في ديني . فزوجه أبو بكر إياها ، على متاع بيت قيمته خمسون ،فأتتها حاضنتها وهي تلعب مع الصبيان، فأخذت بيدها فانطلقت بها إلى البيت ، فأصلحتها (هيأتها للعرس) وأخذت معها حجاباً فأدخلتها على رسول الله ﷺ

ولنستمع إلى السيدة عائشة تحدثنا عن زواجها ، وحظوتها لدى هذا الزوج الكريم ﷺ قالت : تزوجني رسول الله ﷺ ، وأنا بنت ست سنين وأدخلت عليه وأنا بنت تسع سنين ، وكنت ألعب على المرجوحة ، ولي جُمَّة (شعر رأسها مجتمع على بعضه) فأتيت وأنا ألعب عليها (على المرجوحة) فأُخِذْتُ فهُيِّئْتُ، ثم أُدْخِلْتُ على رسول الله ﷺ، وأُرِيَ صورتي في حريرة . وكنت ألعب بالبنات (بلُعَبِ البنات) مع صواحبي، فإذا جاء النبي ﷺ وهن بين أيدينا يقول لنا: مكانكن (أي ابقين تلعبن). أقول : وأكثر من ذلك ، كانت صواحبها إذا رأين رسول الله ﷺ يتفرقن ، ويذهبن عنها ، تقول السيدة عائشة ، فكان رسول الله ﷺ يُسَرِّبُهُنَّ إليَّ فيلعبن معي .

قالت : ودخل علي مرة ﷺ وأنا ألعب بالبنات فقال ما هذا يا عائشة ؟ فقلت : خيل سليمان فضحك ﷺ

---

[1] – الطبقات لابن سعد ج٨ ص٦٤

السيدة عائشة فضلت على نساء النبي ﷺ بعشر :

وكانت رضي عنها تفخر بزواجها من رسول الله ﷺ وتقول : فُضِّلْتُ على نساء النبي ﷺ بعشر ، فقيل لها : ما هن يا أم المؤمنين ؟ قالت :

١- لم ينكح بكراً قط غيري .

٢- و لم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري .

٣- وأنزل الله عز وجل براءتي من السماء .

٤- وجاءه جبريل بصورتي من السماء في حريرة ، وقال : تزوجها فإنها امرأتك .

٥- وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ، و لم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري .

٦- وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ، و لم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري .

٧- وكان يترل عليه الوحي وهو معي ، و لم يكن يترل عليه وهو مع أحد نسائه غيري .

٨- وقبض الله نفسه بين سحري ونحري .

٩- ومات في الليلة التي كان يدور علي فيها .

١٠- ودفن في بيتي .[١]

وقالت مرة : أُعْطِيتُ خلالاً ما أُعْطِيَتْها امرأة ؛ ملكني رسول الله ﷺ وأنا بنت سبع سنين ، وأتاه الملك بصورتي في كفه فنظر إليها ، وبنى بي لتسع سنين ، ورأيت جبريل و لم تره امرأة غيري ، وكنت أحب نسائه إليه ، وكان أبي أحب أصحابه إليه ، ومرض رسول الله ﷺ في بيتي فمرضته فقبض ، و لم يشهده غيري والملائكة .

ويزيد هذه الصفات الكريمة التي أعطيتها السيدة الكريمة أن رسول الله ﷺ قال عنها :

(لقد أريتها في الجنة ليهوَّن بذلك عليَّ موتي ، كأني أرى كَفَّيها) [٢]

وإذا أضفنا إلى هذه الخلال الكريمة خلة أخرى ، أكرم بها وأنعم ، وهي أن جبريل أقرأها السلام ، وهذا ما حدثت به التابعي الجليل مسروق قال : قالت لي عائشة : لقد رأيت جبريل واقفاً في حجرتي هذه على فرس ورسول الله ﷺ يناجيه ، فلما دخل قلت يا رسول الله من هذا الذي رأيتك تناجيه ؟ قال: وهل رأيته ؟ قلت نعم قال :قال فبمن شبهته ؟ قالت : قلت بدحية الكلبي قال : لقد رأيت خيراً كثيراً ، ذاك جبريل ، قالت فما لبثت إلا يسيراً حتى قال : يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام ، قلت وعليه السلام ورحمة الله جزاه الله من دخيل خيراً . [٣]

---

[١] - الطبقات لابن سعد ج ٨ ص٦٤

[٢] - طبقات ابن سعد ج٨ص ٦٦

[٣] - الطبقات لابن سعد ج٨ ص٦٨

حياة الزوجات الشريفات قدوة صالحة للأزواج والزوجات :

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها من العاقلات الفطنات ؛ ورغم أن المرأة يحصل منها أحياناً ما يحصل من الغيرة والخصال التي يعدها بعض الناس جهلاً أو تقصيراً ، وهذا ما كان يحدث من بعض نساء النبي ﷺ ، فإن ذلك كله فيه حكمة بالغة ، وسر عظيم ، وقد ظهر هذا ونقل ، وسوف نراه في عرضنا لسير الزوجات الكريمات رضي الله عنهن ،

والسر في ذلك والحكمة ؛ أن نرى حلم النبي ﷺ وتواضعه ورحمته وأنه فعلاً أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما وصفه ربه سبحانه، كما تتجلى لنا أيضاً العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة ، وكيف يعالجها الإنسان كزوج ، أو كزوجة مقتدين في ذلك كله بخير الأزواج سيدنا رسول الله ﷺ .

فمن ذلك أن زوجاته الشريفات كانت تنتابهن الغيرة التي هي من فطرة المرأة وجبلّتها ، وكُنَّ تظهر منهن أفعال يغضب منها رسول الله ﷺ، وكن يطلبن النفقة التي لم تتيسر للنبي ﷺ في بعض الأحيان ، وكنَّ وكنَّ ،

وفيما يأتي من العرض نرى ، كيف تمت معالجة الرسول الكريم ﷺ لهذه الأمور ، وكيف كانت تجري الحياة العائلية في بيوت أزواجه الشريفات :

روى ابن سعد في طبقاته عن عروة بن الزبير يحدث عن خالته السيدة عائشة قالت : أتاني النبي ﷺ فقال : إني سأعرض عليك أمراً فلا عليك أن تعجلي به حتى تشاوري أبويك . فقلت : وما هذا الأمر ؟ قالت : فتلا علي سول الله ﷺ قوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} (٢٩) سورة الأحزاب .

قالت السيدة عائشة : في أي ذلك تأمرني أن أشاور أبوي ؟! بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة .

قالت : فَسُرَّ بذلك النبي ﷺ وأعجبه وقال : سأعرض على صواحبك ما عرضت عليك . قالت : فلا تخبرهن بالذي اخترت، فلم يفعل ، كان يقول لهن ما قال لعائشة ، ثم يقول : قد اختارت عائشة الله ورسوله والدار الآخرة [1]

وذكر ابن سعد أيضاً فيما رواه عروة ابن الزبير عنها قال : قالت لي عائشة :يا ابن أختي قال لي رسول الله ﷺ : ما يخفى علي حين تغضبين ، ولاحين ترضين فقلت : بم تعرف ذاك بأبي أنت وأمي ؟ قال : أما حين ترضين فتقولين حين تحلفين ؛ لا ورب محمد ، وأما حين تغضبين فتقولين : لا ورب ابراهيم ، فقلت : صدقت يا رسول الله إنما أهجر اسمك .

إرشادها للزوجات عن حسن التبعل للزوج :

روى ابن سعد عن بكرة بنت عقبة أنها دخلت على عائشة ، فسألتها عن الحِنَّاء فقالت : شجرة طيبة وماء طهور ، وسألتها عن الحفاف (أي حف الشعر الزائد فقالت إن كان لك زوج فاستطعت أن تزعي مقلتيك فتصنعينهما أحسن مما هي ، فافعلي ! . [2]

غيرتها على النساء المؤمنات :

دخلت عليها حفصة بنت أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر وعليها خمار رقيق يشف عن جيبها (الجيب فتحة الثوب مما يلي الرقبة) فشقته عائشة عليها وقالت أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور أي قوله تعالى : {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ

---

[1] — ابن سعد ج٨ص٦٩

[2] — ابن سعد ج٨ ص٧٢

أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٣١) سورة النـــــور

ثم دعت بخمار آخر فكستها .[١]

حسن تدبيرها للبيت :

دخل عليها داخل فرآها تخيط نقبة لها فقال : يا أم المؤمنين أليس قد أكثر الله الخير ؟ (أي فلماذا ترقعين هذا الثوب) قالت : دعنا منك ، لا جديد لمن لا خَلَقَ له .(أي من ليس عنده عتيق ماله جديد) [٢]

مؤانسة الرسول الكريم لها :

قالت عائشة ؛ خرجنا مع النبي ﷺ ، حتى إذا كنا بالقاحة (مكان قريب من المدينة) سال على وجهي من رأسي صفرة ، مما جعلت في رأسي من الطيب حين خرجت ، فقال النبي ﷺ :(إن لونك الآن يا شقيراء لحسنٌ) أقول : (وهذا الطيب مما له لون ولا رائحة له) [٣]

وأسرى رسول الله ﷺ ليلة ، ثم قال لعائشة عندما جاء إليها : (لأنت أحب إليَّ من زبد بتمر) [٤] ومعلوم أن الزبدة مع التمر من أطيب الطعام .

ونختم سيرتها رضي الله عنها بهذه الحكاية الجميلة التي تبين مترلتها عند رسول الله ﷺ روى البخاري في صحيحه عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه قال : (كان الناس يتحرون بهداياهم (أي النبي ﷺ) يوم عائشة ، قالت عائشة فاجتمع صواحبي (زوجات النبي ﷺ) إلى أم سلمة فقلن : يا أم سلمة ؛ والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان ، أو حيث ما دار ، قالت : فذكرت ذلك (أم سلمة) للنبي ﷺ ، قالت : فأعرض عني ، فلما عاد إليَّ ذكرت له ذاك فأعرض عني ، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال : (يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة ، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها) .[٥]

وفاتها رضي الله عنها : وتوفيت في ليلة ١٧ رمضان عام ٥٨ هجرية ودفنت في البقيع ، ومن المعلوم أنها كانت من أعلم علماء الصحابة ، فقد روي لها من الأحاديث (٢٢١٠) حديثاً ، رحمها الله ورضي عنها ،

وقد ألفت في سيرتها الكتب ومناقبها مشهورة مبثوثة في كتب السيرة والتراجم (راجع أخبارها في طبقات ابن سعد مفصلة ج٨ من ص ٥٨ حتى ص٨١) .

---

(١) – ابن سعد ج٨ ص٧

(٢) – ابن سعد ج٨ ص٧٢

(٣) – ابن سعد ج٨ ص٧٢

(٤) – ابن سعد ج٨ ص٧٩

(٥) – البخاري ج ٥ ص ٣٠

٤- زواج النبي ﷺ من حفصة الصوامة القوامة :

ولدت رضي الله عنها قبل البعثة النبوية بخمس سنين وكانت قريش تبني البيت الحرام ، ووالدها الفاروق عمر بن الخطاب ، وأمها زينب بنت مظعون الجمحية ، أخت عثمان بن مظعون رضي الله عنهم .

وكانت قد تزوجت من خنيس بن حذافة السهمي ، فكانت عنده وهاجرت معه إلى المدينة وبقي الزوجان المسلمان في المدينة (خنيس وحفصة) إلى أن توفي عنها بعد قدوم النبي ﷺ منتصراً من بدر .

عمر بن الخطاب يعرض ابنته على أبي بكر وعثمان : وكشأن الأب الشفوق العاقل يخطب لابنه الفتاة المؤمنة ، فإن الفاروق ﷺ صار يخطب لابنته الرجل المؤمن ، فمن يرى أفضل من إخوانه الذين هاجروا معه ، ولنستمع إليه يحدثنا عن ذلك قال : (فأتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة وقلت :

- إن شئت أنكحتك حفصة (وقد كانت توفيت زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ لما كان الرسول الكريم ﷺ في بدر) فقال عثمان :

- سأنظر في أمري . قال عمر فمكثت ليالي ، ثم لقيني عثمان فقال :

- قد بدا لي ألا أتزوج في يومي هذا . قال عمر فلقيت أبا بكر الصديق فقلت :

- إن شئت زوجتك حفصة ، قال عمر : فَصَمَتَ أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئاً ، فكنت عليه أَوْجَدُ مني على عثمان (أي غضبت منه غضباً مكبوتاً أكثر مني غضباً على عثمان) فمكثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه ، فلقيني أبا بكر فقال :

- لعلك وجدت (غضبت) عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك بشيء ؟ قال عمر : نعم ، قال أبو بكر : إنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أني قد كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها .

وقد عرض سيدنا عمر هذا الأمر على رسول الله ﷺ فقال له الرسول الحبيب ﷺ : -(قد زوج الله عثمان خيراً من ابنتك ، وزوج ابنتك خيراً من عثمان ، زَوِّجْني حفصة ، وأُزَوِجُهُ أم كلثوم أختها))

فتزوج رسول الله ﷺ حفصة وزوَّجَ عثمان أمَّ كلثوم رضي الله عنهم أجمعين .

جبريل : راجع حفصة فإنها صوامة قوامة : وصارت هذه السيدة الكريمة في عداد أزواج النبي ﷺ من أمهات المؤمنين الكريمات ، وصار وصفها عند أهل السماء (الصوّامة القوّامة) بعد أن عرف هذا الوصف في صفوف المؤمنين والمؤمنات .

وحظيت عند رسول الله ﷺ بما حظيت به عائشة رضي الله عنهما ، بل وكانتا لا تفترقان في مجالسهما وعبادتهما وحسن إصغائهما للرسول الكريم ﷺ وكانت تخص الرسول الكريم ببعض تحفها وهداياها، مما كان يسب غيرة الزوجات الأخريات.

ولما همَّ رسول الله ﷺبطلاق نسائه لَّما طَلَبْنَ منه التوسع في النفقة ، وكان ممّن هَمَّ بطلاقها حفصة جاءها رسول الله ﷺ مبشراً وقال لها : إن جبريل عليه السلام أتاني فقال أَرْجِعْ حفصة فإنها صوّامة قوّامة وهي زوجتك في الجنة .

وقد كان الرسول الكريم ﷺ يضع عندها صحائف القرآن التي كان كتاب الوحي يكتبونها ، ولما توفي الرسول الكريم ﷺ وجمع سيدنا أبو بكر القرآن بمشورة عمر رضي الله عنهما كانت صحف القرآن عندها فاستأذنها أبو بكر ﷺ , أخذها منها بعد أن نسخت نسخة كاملة منه ثم أعاده إليها ، وكذلك فعل سيدنا عثمان ﷺ عندما جمع القرآن الجمع الأخير وكتبته اللجنة التي شكلها ، أخذه منها ثم أعاده إليها .

وفاتها : وتوفيت رحمها الله في شعبان سنة ٤٥ هجرية في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ وهي يومئذ ابنة ستين سنة . ودفنت مع أزواج رسول الله ﷺ في البقيع . رضي الله عنها وأرضاها . (طبقات ابن سعد ج٨ ، وعلوم القرآن للصف الحادي عشر شرعي) .

٥- زواج النبي ﷺ من أم سلمة المخزومية (ذات الهجرتين) :

واسمها هند بنت أبي أمية (سهيل بن المغيرة المخزومي) كان يقال لأبيها زاد الركب ، لأنه كان إذا سافر معه قوم لا يسمح لأحد أن يأخذ زاده معه ، فهو يكفي كل من معه من المسافرين .

تزوجها أبو سلمة (عبد الله) بن عبد الأسد المخزومي وهاجرت معه إلى الحبشة في الهجرة الأولى والثانية ، وكان زوجها (أبو سلمة) أصيب يوم أحد ، في يده وبعد أن برىء الجرح أرسله رسول الله ﷺ في سرية مجاهداً وغاب عن المدينة تسعاً وعشرين ليلة ثم رجع ، والجرح منتقض فمات منه سنة أربع للهجرة في الثامن من جمادى الآخرة .

وكانت سمعت رسول الله ﷺ قال لها : (إذا أصابتك مصيبة فقولي ((اللهم أعطني أجر مصيبتي ، واخلفني خيراً منها)) قالت فقلتها يوم توفي أبو سلمة ، ثم قلت : ومن لي مثل أبي سلمة ؟ فعجل الله لي الخلف خيراً من أبي سلمة .

حديث زوجين : قالت أم سلمة لأبي سلمة ، بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة وهي من أهل الجنة ، ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة ، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها ، فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدي ولا أتزوج بعدك . قال أبو سلمة : أتطيعيني ؟ قلت : ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك . قال :

فإذا مت فتزوجي . ثم قال اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني لا يحزنها ولا يؤذيها .

فلما مات أبو سلمة قلت (في نفسي) من هذا الفتى الذي هو خير لي من أبي سلمة ؟ (ولكن القدر قد خبأ لها هذا الذي هو خير) . تقول أم سلمة قال رسول الله ﷺ : إذا حُضِرْتُمْ (أي حضر أحدكم الموت) فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ، وبقيت هذه الكلمات في أذهان المؤمنين والمؤمنات ، لا يقولون عند موتاهم إلا خيراً .

وعندما مات أبو سلمة أرادت هذه السيدة الكريمة الفطنة أن يكون هذا القول (الخير) من كلمات رسول الله ﷺ فجاءت قائلة : يا رسول الله ؛ إن أبا سلمة قد مات فكيف أقول ؟ قال : قولي : اللهم اغفر لي وله ، وأعقبني منه عقبى حسنة .

قالت : فقلت كما قال رسول الله ﷺ فأعقبني الله خيراً منه ؛ رسولَ الله ﷺ . وكانت تقول في نفسها وبلسانها (ومن خير من أبي سلمة) ؟

عزاء الرسول الكريم ﷺ لها في وفاة زوجها :

وجاء رسول الله ﷺ يعزيها فقال : (اللهم عَزِّ حزنها واجبر مصيبتها وأَبْدِلْها خيراً منها) .

وانقضت العدة الشرعية لأيِّم العرب فخطبها أبو بكر الصديق فردَّته ، ثم خطبها عمر الفاروق فردَّته، فبعث إليها رسول الله ﷺ خاطباً يخطبها له فقالت: مرحباً برسول الله ﷺ، وبرسوله ، أَخْبِرْ رسولَ الله ﷺ أني امرأة غَيْرى ، وأني مُصْبِية (وفي رواية عندي أيتام) وأنه ليس أحد من أوليائي شاهد (حاضر) فبعث إليها رسول الله ﷺ : ((أما قولك أني مصبية، فإن الله سيكفيك صبيانك (وفي رواية فالأطفال إلى الله ورسوله)

وأما قولك أنك غيرى ، فسأدعو الله أن يذهب غيرتك ،

وأما الأولياء ، فليس أحد منهم شاهد أو غائب إلا سيرضاني)) .

ورضيت الزوجة المؤمنة بما قاله رسول الله ﷺ و لم تكن لترد عليه خطبته إعراضاً عنه وكرهاً ، حاشاها من ذلك ، ولكن خشيت ألا تقوم بحقه بسبب ما ذكرته من تلك الخصال ، وفي رواية قالت أيضاً : أنا كبيرة (في السن) فقال لها الرسول الكريم ﷺ (وأما ما ذكرت من كبر السن فأنا أكبر منك) ولما أطمأنت إلى ما قاله الرسول الحبيب ﷺ ، وغلب على ظنها أنها ستقوم بحقه ، قالت لابنها عمر : يا عمر قم فَزَوِّجْ رسول الله ﷺ . (أي أجر عقد الزواج معه)

فقال ﷺ بعد العقد : أما إني لا أنقصك مما أعطيت أختك فلانة ؛ (أي مهراً) رَحَيْين وجرَّتين ووسادة من أَدَم (جلد) حشوها ليف .

وهكذا تم الزواج والجهاز الذي ذكره الرسول الكريم ﷺ بهذه البساطة ، وعلى هذا الجهاز (الملوكي !)

أما طعام العرس ، فتصفه لنا العروس أم سلمة رضي الله عنها قالت : تزوجني رسول الله ﷺ فانتقلني ،فأدخلني بيت زينب بنت خزيمة أم المساكين بعد أن ماتت ؛ فإذا جَرَّة فاطَّلَعْتُ فيها ، فإذا فيها شيء من شعير ، وإذا رحى وبُرْمة (قِدْر الطبخ) وقِدْر فنظرت فإذا فيها كَعْبٌ من إِهالة (دهن) فأخذت ذلك الشعير فطحنته ، ثم عصدته في البرمة ، وأخذت الكعب من الإهالة فأدمته به ، فكان ذلك طعام رسول الله ﷺ وطعام أهله ليلة عرسه .

قال ابن سعد فيما رواه عن عبد الله بن حنطب (دخلت أيم العرب (أم سلمة) على سيد المسلمين أول العشاء عروساً وقامت من آخر الليل تطحن) .

أقول : هذه الزوجة قدوة للزوجات المؤمنات اللاتي دخل الإيمان إلى قلوبهن ، وارتضين الله رباً والإسلام ديناً ومحمداً نبياً ورسولاً ، كيف كان صدقها مع نفسها ومع ربها ،وكيف خافت ألا تقوم بحق رسول الله ﷺ لما خطبها ، ولما بنى بها ، فانظر صنيعها ليلة العرس وتواضعها وهي بنت زاد الركب أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، ولذلك حظيت عند رسول الله ﷺ ونزلت من نفسه مترلة تُسامِي مترلة عائشة رضي الله عنها . فقد قال ﷺ فيما رواه ابن سعد (إن لعائشة مني شعبة ما نزلها مني أحد ، فلما تزوج أم سلمة سئل رسول الله ﷺ فقيل : يا رسول الله ما فعلت الشعبة ؟ فسكت رسول الله ﷺ، فعُرِف أن أم سلمة نزلت عنده) .

وهذا ما دعا نساء النبي ﷺ أن يَغِرْنَ منها (والغيرة من جِبِلَّة النساء) وهاهي السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها تحدث عن نفسها قالت : (لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنت حزناً شديداً لما ذكروا لنا من جمالها ، قالت ، فتلطفت لها حتى رأيتها ، فرأيتها والله أضعاف ما وصفت لي من الحسن والجمال ، فذكرت ذلك لحفصة ، فقالت : لا والله إن هذه إلا الغيرة (أي ليست هي كما وصفت ولكنك غرت منها) ما هي كما يقولون ، فتلطفت لها حفصة حتى رأتها فالت قد رأيتها ، ولا والله ما هي كما تقولين ولا قريب ، وإنها لجميلة ، قالت عائشة ؛ فرأيتها بعد فكانت لعمري – كما قالت حفصة – ، ولكني كنت غيرى) .

فهل كانت لها هذه الحظوة عند النبي ﷺ لجمالها ، (وقد علمنا ما قالت حفصة وعائشة رضي الله عنهن) أم لسابقتها في الإسلام ؟ وهجرتها الهجرتين (إلى الحبشة والمدينة) وصبرها على تحمل الأذى في سبيل الله ؟ ولقد كانت هجرتها إلى المدينة امتحاناً لإيمانها وصبرها في سبيل الله ، فقد ذكر ابن هشام في السيرة وغيره أن أبا سلمة (زوجها) كان من أول المهاجرين إلى المدينة هو وزوجته وابنه قبل بيعة العقبة الكبرى ، فلما أجمع على الخروج قال له أصهاره (أهل زوجته) هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه (زوجته) علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ فأخذوا منه زوجته ،وغضب آل أبي سلمة لرجلهم ، فقالوا لا نترك ابننا معها ، وتجاذبوا الطفل بينهم ، فخلعوا يده ، وذهبوا به ، وانطلق أبو سلمة

وحده إلى المدينة وأرجع قوم أبو سلمة ابنها سلمة معهم ، وكانت أم سلمة بعد ذهاب زوجها وأخذ ابنها تخرج كل صباح إلى الأبطح تبكي حتى تمسي ، ومضى على ذلك سنة ؛ زوجها في مكان (في المدينة) وابنها عند قوم أبيه وهي وحدها ، فَرَقَّ لها أحد ذويها وقال : ألا تخرجون هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وولدها ، فقالوا لها :إلحقي بزوجك إن شئت ، فاسترجعت ابنها ، وخرجت تريد المدينة وليس معها أحد من خلق الله حتى إذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة ، وبعد أن عرف حالها ، قاد جملها حتى قدم بها المدينة ، فلما نظر قباء قال : زوجك بهذه القرية فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة .

ومما يزيدها حظوة عند رسول الله ﷺ رأيُها الحصيف الذي كانت تتمتع به ، وبُعْدُ رأيها حتى أنها أشارت على النبي ﷺ لما صالح المشركين في الحديبية وأمر المسلمين بالذبح والحلق والتحلل من العمرة أشارت عليه لما تأخر المسلمون في امتثال أمر النبي ﷺ أن يذبح ويحلق هو فإذا رأوه فعل فعلوا مثله ، وكذلك كان ، وكان هذا ببركتها رضي الله عنها

وفاتها :وتوفيت سنة ٥٩ هجرية وعمرها ٤٨ سنة ودفنت مع أزواج النبي ﷺ في البقيع .

٦- النجاشي ملك الحبشة يزوج الرسول ﷺ رملة بنت أبي سفيان ، ويؤدي مهرها عنه :

وهذه مأثرة عظيمة ، وخصلة شريفة ، يقدم عليها رسول الله ﷺ ، ليجبر خاطر امرأة مهاجرة ، تنصر زوجها في الحبشة ، وليخضد شوكة عداوة أبيها ومقاومته للإسلام ، وليفتح بهذا الزواج باباً كبيراً أوصده المشركون ضد الدعوة الإسلامية ، فيدخل الناس في دين الله أفواجاً .

وككل زيجات النبي ﷺ تنطوي وراءها حكم عظيمة، وفوائد للدعوة الإسلامية لا تقدر ، فقد كان زواج رملة بنت أبي سفيان من النبي ﷺ ، جبراً لخاطرها رضي الله عنها ، وإبراداً لنار العداوة في قلب أبيها للإسلام حتى جاء بعد عام واحد مسلماً طائعاً معترفاً برسالة الرسول ﷺ . وذلك في فتح مكة .

والقصة من أولها : أن عبيد الله بن جحش الأسدي تزوج رملة فولدت له حبيبة وكنيت بها أمها،فصار يقال لها أم حبيبة، وهاجر الهجرة الأولى مع زوجته رملة إلى الحبشة ومعهما ابنتهما حبيبة (وهناك رواية أخرى تقول أنها ولدتها في الحبشة) ولقي المهاجرون المسلمون لدى ملك الحبشة كل إكرام ولطف ، فحرك هذا الإكرام لدى عبيد الله جمرات قد انطفأت ، فاشتعلت من جديد في قلبه ، إذ كان قبل الإسلام يدين بالنصرانية ، ومنها عرف أن هذا النبي هو الذي بَشَّرَ به عيسى عليه السلام ، وكان ملك الحبشة على النصرانية الحقة وإذا بعبد الله يعود إليها مرة ثانية مرتداً عن دينه ،

ولنسمع إلى زوجته تحدثنا : قالت رأيت في النوم زوجي (عبيد الله) بأسوأ صورة وأشوهه ، ففزعت ، فقلت : تغيرت والله حاله ، فإذا هو يقول في الصباح يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خير من النصرانية وكنت قد دِنْتُ بها ، ثم دخلت في دين محمد ، ثم قد رجعت إلى النصرانية فقلتُ : والله ما خيرٌ لك . وأخبرته بالرؤيا التي رأيت ، فلم يحفل بها وأكب على الخمر حتى مات .

قالت وفي يوم آخر أُرَى في النوم كأن آتياً يقول : يا أم المؤمنين ، ففزعت ، فأولتها ؛ أن رسول الله ﷺ يتزوجني . وما هي إلا شهور انقضت بعدها عدتي , وما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن ، فإذا بجارية يقال لها (أبرهة) كانت موكلة بخدمة ثيابه ودُهْنِه (طيبه) فدخلت عليَّ فقالت : إن الملك يقول لك، أن رسول الله ﷺ كتبَ إليَّ أن أزوجك منه،

قالت أم حبيبة : بشرك الله بالخير . قالت أبرهة : يقول لك الملك وكلي (أحداً من أقربائك) يزوجك . فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته (بعقد النكاح) .

وهذه البشارة الحسنة وهي أنها ستتزوج رسول الله ﷺ لابد لها من مكافأة لمن أتى بهذا الخبر السار ، فأعطت أم حبيبة لأبرهة (سوارين ، وخَدَمَتَيْنِ كانتا في رجليها (خلخال) وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها ، سروراً بما بشرها به

النجاشي يتولى خطبة النكاح والعقد :

وفي المساء أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا، وقام النجاشي خطيباً فقال : (الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ،وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم ﷺ

أما بعد : فإن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وقد أصدقتها أربعمائة دينار . ثم سكب الدنانير بين يدي القوم ،

ثم قام خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحمده وأستعينه وأستنصره ، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

أما بعد : فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله رسول الله ، ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها .

ولما أراد المسلمون الانصراف من المجلس بعد عقد الزواج قال النجاشي ، فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا ، أن يؤكل طعام على التزويج . فدعا النجاشي بطعام ، فأكلوا ثم تفرقوا .

قالت أم حبيبة : فلما وصل إليَّ المال (مال المهر) الذي (قبضه سعيد من النجاشي) أرسلت إلى أبرهة التي بشرتني فقلت لها: إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ (من الخواتيم والخلخال) ولا مال بيدي ، فهذه خمسون مثقالاً ، فخذيها فاستعيني بها . فأبت أبرهة أن تأخذها ثم أخرجت حُقّاً (وعاء توضع فيه الأشياء الثمينة) فيه كل ما أعطيتها من الخواتيم والخلخال فردته علي وقالت : عزم عليَّ الملك ألا أرزأك شيئاً (ألا آخذ منك) وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ وأسلمت لله ، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر ، ثم جائتني في اليوم التالي بجملة أنواع من العطور ، عود وورس ، وعنبر وزَباد كثير ، (وَقَدِمَتْ بذلك كله لما عادت من الحبشة إلى النبي ﷺ) ثم قالت أبرهة : حاجتي إليك أن تقرئي رسول الله ﷺ مني السلام وتعلميه أني قد اتَّبَعْتُ دينه .

وكانت أبرهة تتردد على السيدة أم حبيبة وتتلطف بها وهي التي جهزتها لما قدمت إلى رسول الله ﷺ وكانت توصيها وتقول لها لا تنسي حاجتي إليك (السلام على رسول الله ﷺ) .

قالت ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت خطبة النجاشي وكيف تم عقد الزواج ، وما فعلت أبرهة فتبسم رسول الله ﷺ ،وأقرأته منها السلام فقال : وعليها السلام ورحمة الله وبركاته .

أبو سفيان يبارك الزواج :

كان هذا الزواج سنة سبع من الهجرة وكان عمر السيدة أم حبيبة سبعاً وثلاثين عاماً ثم جهز النجاشي أم المؤمنين وأرسلها إلى النبي ﷺ مع شرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم أجمعين .

وكان من أثر هذا الزواج وبركته أن أنزل الله سبحانه قوله في سورة الممتحنة : {عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (٧) سورة الممتحنة .

قال ابن عباس نزلت حين تزوج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين . ولما سمع أبو سفيان بزواج ابنته من رسول الله ﷺ قال موافقاً ومثنياً على هذا الزواج الكريم : هو الفحل لا يقرع أنفه . وهذه كلمة تعظيم وثناء تقولها العرب لأهل الشرف والمجد والبطولة .

من مواقفها المشرفة وسيرتها : وكانت هذه السيدة الكريمة من أفاضل أمهات المؤمنين اللواتي كن القدوة للمسلمات في الثبات والصبر على دينهن وتحمل الشدائد في سبيل الله وكانت حياتها كلها إتباعاً لدين الله وتمسكاً بهذا الإسلام حتى في أصعب الظروف ، وكان لها مواقف عظيمة تدل على مدى ثباتها على إسلامها وشدة تعلقها بأحكام هذا الإسلام ، وقوة تمسكها به وسعيها لإرضاء الله سبحانه ورسوله ﷺ ذلك الزوج العظيم الكريم .

فمن هذه المواقف المشرفة :

١- لما جاء أبوها (أبو سفيان) بعد صلح الحديبية عام ثمان للهجرة يريد رسول الله ﷺ ليزيد في مدة الهدنة بين المسلمين والمشركين ولَّما يُسْلِمْ بعد فدخل على ابنته أم حبيبة ، ولما أراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ طوت الفراش ، وأزاحته عنه فقال لها : يا بُنَيَّة أرغبت بهذا الفراش عني (أي أنه لا يصلح لي تريدين أن تحضري خيراً منه) أم رغبت بي عنه (أي أني لا يحق لي الجلوس عليه) .

فقالت رضي الله عنها : بل هو فراش رسول الله ، وأنت امرؤ نجس مشرك .

فقال لها : يا بنية لقد أصابك بعدي شر . وما أصابها والحمد لله إلا الخير بزواجها برسول الله ﷺ ، وصيانتها وحفظها لفراش رسول الله ﷺ من أن يجلس عليه مشرك ولو كان أبوها .

وكذلك موقفها وهي في الهجرة في الحبشة ، أن ثبتت على إسلامها ودينها رغم تنصر زوجها ، والملك آنذاك كان يدين دين النصرانية

٢- ومن مواقفها التي تثبت صدق وشدة تمسكها بأحكام الشريعة ، أنه لما توفي أبوها بعد أن أسلم رضي الله عنهم أجمعين، وقد أبلى البلاء الحسن في الجهاد في بلاد الشام ، طلبت طيباً وطيبت ذراعيها وعارضيها ثم قالت : إني كنت عن هذا لغنية (أي لا أحتاج إلى الطيب وأنا أرملة) لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحِدَّ على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوج فإنها تُحِدُّ عليه أربعة أشهر وعشراً) والحداد ترك الزينة .

٣- ومن مواقفها الكريمة : ما ترويه السيدة عائشة قالت : (دعتني أم حبيبة زوج النبي ﷺعند موتها فقالت : قد كان ما يكون بيننا وبين الضرائر ، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك . فقلت غفر الله لك ذلك كله وتجاوز ، وحللك من ذلك ، فقالت أم حبيبة : سررتني سرك الله ، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك .

وفاتها : توفيت رحمها الله إلى رحمة الله ورضوانه سنة أربع وأربعين في خلافة أخيها معاوية ﷺ وكان عمرها (أربعاً وسبعين سنة) ، ودفنت في البقيع بجانب أزواج النبي ﷺ رضي الله عنها وأرضاها . (أخبار أم حبيبة في طبقات ابن سعد ج٨ والسيرة النبوية لابن هشام) .

٧- زوَّجَكُنَّ أهلُكُنَّ وزوجني الله : زواج زينب بنت جحش رضي الله عنها :

ولنبدأ قصة زواج زينب من أولها ، فقد كانت زينب بنت جحش ابنة عمة رسول الله ﷺ وأمها أميمة بنت عبد المطلب ، وكانت ممن هاجر إلى المدينة قبل هجرة النبي ﷺ، وروى ابن كثير في تفسيره أن النبي ﷺ خطبها لزيد بن حارثة ، فقالت : لست بناكحته ، فقال رسول الله ﷺ : (بلى فانكحيه) قالت : يا رسول الله أؤآمر نفسي ، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله ﷺ : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} (٣٦) سورة الأحزاب .

وذكر السيوطي في تفسير الجلالين أنها نزلت فيها وفي أخيها عبد الله بن جحش ، كرها خطبتها لزيد بن حارثة ، فنزلت الآية ، فأجابت رسول الله ﷺ وقبلت الزواج من زيد ،

ويذكر ابن سعد في ترجمتها أنها قالت : يا رسول الله لا أرضاه لنفسي وأنا أيِّمٌ من قريش ؛ قال : فإني قد رضيته لك) فتزوجها زيد .

قال السيوطي في تفسيره : ثم وقع بصر النبي ﷺ على زينب بعد حين (بعد زواجها من زيد بن حارثة) فوقع في نفسه حبها وفي نفس زيد كراهيتها ثم قال زيد للنبي ﷺ : أريد فراقها ، فقال ﷺ (أمسك عليك زوجك كما قال الله تعالى : {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ } بالإسلام {وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ }بالإعتاق، وهو زيد بن حارثة وكان من سبي في الجاهلية اشتراه [1] رسول الله قبل البعثة وأعتقه وتبناه {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ } زينب بنت جحش {وَاتَّقِ اللَّهَ } في أمر طلاقها {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ } مظهره من محبتها ، وأن لو فارقها زيد تزوجتها{وَتَخْشَى النَّاسَ } أن يقولوا تزوج زوجة ابنه { وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ }في كل شيء ، وتَزَوَّجْها ولا عليك من قول الناس ، ثم طلَّقها زيد وانقضت عدتها {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا } (٣٧) سورة الأحزاب

وقد تبع الجلال السيوطي رحمه الله في تفسيره الآنف الذكر كثير من المفسرين ، وكذلك رواية ابن سعد في ذلك ، ولكن شارح الجلالين الإمام الصاوي [2] : لم يرتضِ هذا التفسير فقال عند قول السيوطي : ثم وقع بصر النبي ﷺ عليها : هذا بناء على معنى أن قوله تعالى {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ } هو حبها ، الذي درج عليه المفسر تبعاً لغيره ، **وهذا التفسير غير لائق بمنصب النبوة لاسيما بجنابه الشريف، وأيضاً يبعد أن النبي ﷺ يخفى عليه حالها مع كونها بنت عمته وفي حجره** . وقال الصاوي عند قول السيوطي (من محبتها) :هذا القول مردود ، لما تقدم أنه يتره عنه رسول الله ﷺ ، والصواب أن يقول : أن الذي أخفاه في نفسه هو ، ما أخبره الله به ، من أنها ستصير إحدى زوجاته بعد طلاق زيد لها ؛ لما روى علي بن الحسين رضي الله عنهما ؛ أن رسول الله كان قد أوحى الله إليه ، أن زيداً يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها ، فلما شكى زيد للنبي ﷺ خلق زينب وأنها لا تطيعه ، وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له رسول الله ﷺ على

---

[1] – قال المفسر الصاوي معلقاً على قول السيوطي (اشتراه ؛ فيه تسمُّح بل الذي في السِّيَر أن خديجة اشترته ثم وهبته للنبي ﷺ . وروى أن عمه لقيه بمكة فعرفه وضمه إلى صدره وقال لمن أنت ؟ قال : لمحمد بن عبد الله فأتوه (في سيرة ابن هشام وشرحها للسهيلي) أتاه هو وأبوه وعرضوا عليه أن يرده عليهم ، فاختار زيد البقاء عند رسول الله ﷺ ، عندئذ تبناه رسول الله ﷺ وصار يدعى زيد بن محمد .

[2] – الإمام المفسر المحدث العلامة فخر المتأخرين ، العالم المدقق الأصولي ، اللغوي البارع الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي الخَلْوَتي المولود ١١٧٥ هـ المتوفى ١٢٤١ هـ صاحب الشرح البديع على تفسير الجلالين رحمه الله تعالى .

جهة الأدب **والوصية** : إتق الله في قولك ، وأمسك عليك زوجك ، وهذا هو الذي أخفى في نفسه ، وخشي رسول الله أن يلحقه قول الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو متبناه ، فعاتبه الله على الكتم لأجل هذا العذر .

والحكمة في تزوج رسول الله ﷺ بزينب إبطال عادة التبني والتفرقة بين ولد الصلب وولد التبني ، من حيث أن ولد الصلب يحرم التزوج بزوجته ، وولد لتبني لا يحرم . [1] **اهـ . وهذا هو الحق والصواب كما ذكره الصاوي وسار عليه المحققون من العلماء .**

(وحادث زواج رسول الله ﷺ من زينب رضي الله عنها بعد طلاقها من زيد ، الأمر الذي كانت له ضجة عظيمة في حينه ، والذي ما يزال يتخذه بعض أعداء الإسلام تكأة للطعن على رسول الله ﷺ حتى اليوم، ويلفقوا حوله الأساطير..[2])

(.. وهذا الذي أخفاه رسول الله ﷺ في نفسه ، وهو يعلم أن الله مبديه ، هو ما ألهمه الله أن يفعله ، ولم يكن أمراً صريحاً من الله وإلا ما تردد فيه ولا أخره ، ولا حاول تأجيله ، ولجهر به في حينه مهما كانت العواقب التي يتوقعها من إعلانه ، ولكنه ﷺ كان أمام إلهام يجده في نفسه ، ويتوجس في الوقت ذاته من مواجهته ، ومواجهة الناس به ، حتى أذن الله بكونه، فطلق زيد زوجته في النهاية وهو لا يفكر لا هو ولا زينب ، فيما سيكون بعد ، لأن العرف السائد كان يعد زينب مطلقة ابن محمد لا تحل له ، حتى بعد إبطال عادة التبني في ذاتها . ولم يكن قد نزل بعد إحلال مطلقات الأدعياء ،

إنما كان حادث زواج النبي ﷺ بها فيما بعد هو الذي قرر هذه القاعدة ، بعدما قوبل هذا القرار بالدهشة والمفاجأة والاستنكار . **وفي هذا ما يهدم كل الروايات التي رويت عن هذا الحادث ؛ والتي تشبث بها أعداء الإسلام قديماً وحديثاً ، وصاغوا حولها الأساطير والمفتريات . .)**

(..ولم تمر المسألة سهلة ، فلقد فوجيء المجتمع الإسلامي كله ، كما انطلقت ألسنة المنافقين تقول : تزوج حليلة ابنه !

ولما كانت المسألة مسألة تقرير مبدأ جديد فقد مضى القرآن يؤكدها ، ويزيل عنصر الغرابة فيها ، ويردها إلى أصولها البسيطة المنطقية التاريخية :{مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا} (٣٨) سورة الأحزاب . فقد فرض الله له أن يتزوج زينب ويبطل عادة العرب في تحريم أزواج الأدعياء . وإذن فلا حرج في هذا الأمر ، وليس النبي ﷺ فيه بدعاً من الرسل .) [3]

لقد كان هذا الزواج لنقض تقليد جاهلي متأصل ، وهي قاعدة التبني ، وكانت العادات عند العرب تقضي بأن المتبنى له جميع الحقوق والحرمات التي للابن الحقيقي ، وقد تأصلت في القلوب والنفوس .

ولهدم تلك القاعدة أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن ينكح ابنة عمته زينب ،زوجة زيد ، ولم يكن بينهما توافق في الأصل ، ولم تكن في نفسها راضية عن هذا الزواج لولا رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ لا يريد من زيد طلاقها حتى لا يقع تحت ألسنتهم ودعاياتهم الضالة .

(وأخيراً طلقها زيد وتزوجها رسول الله ﷺ في أيام فرض الحصار على بني قريظة بعد أن انقضت عدتها ، وكان الله قد أوجب هذا الزواج على رسوله ولم يترك له خياراً ولا مجالاً ، حتى تولى الله ذلك النكاح بنفسه .

---

[1] – تفسير الصاوي على الجلالين ج٣ ص٢٦٢ طبعة البابي الحلبي ١٩٤١

[2] – في ظلال القرآن ج٢٢ ص٥٩٢ دار إحياء التراث العربي /١٣٩١هـ-١٩٧١ / بيروت طبعة سابعة

[3] – في ظلال القرآن ج٢٢ ص٥٩٦

فقال تعالى {.. فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا } (٣٧) سورة الأحزاب

وذلك ليهدم قاعدة التبني فعلاً كما هدمها قولاً بقوله سبحانه : {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا } (٥) سورة الأحزاب . وقوله سبحانه وتعالى : {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} (٤٠) سورة الأحزاب . وكم من التقاليد المتأصلة الجائرة لا يمكن هدمها أو تعديلها لمجرد القول بل لا بد له من مقارنة فعل صاحب الدعوة) [١]

وهذا الزواج والأمر الإلهي به أشد ما نزل على الرسول ﷺ من الوحي (وإنما عوتب ﷺ على إخفاء ما أعلمه الله به أنها ستكون زوجة له .

قالت عائشة رضي الله عنها : لو كتم النبي ﷺ شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا } (٣٧) سورة الأحزاب وما نزل على رسول الله ﷺ آية أشد عليه من هذه الآية) . [٢]

وقد تم زواج الرسول ﷺ في هذه الظروف التي ذكرناها ، وبتلك الأحوال التي لا بست هذا الزواج ليتم أمر الله سبحانه ويقضي ربنا ما يشاء على عبيده وأعظمهم امتثالاً واتباعاً لأوامر الله سبحانه الأنبياء ثم أتباعهم ..

كيف تمت الخطبة والزواج ؟ : ولنستمع إلى السيدة زينب تحدثنا بهذا بعد انقضاء عدتها قالت : فبينا رسول الله ﷺ جالس يتحدث مع عائشة إلى أن أخذت رسول الله ﷺ غشية (وهي التي تنتابه عند الوحي)فسري عنه وهو يبتسم ويقول : (من يذهب إلى زينب ويبشرها أن الله زوجنيها من السماء ؟) وتلا رسول الله ﷺ:{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا } (٣٧) سورة الأحزاب .

قالت عائشة : فأخذني ما قرب وما بعد (أي من الغيرة) لما يبلغنا من جمالها ، وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها ، ما صُنِعَ لها ، زَوَّجَها الله من السماء . وقلت : هي تفخر علينا بهذا . فخرجت سلمي خادمة رسول الله ﷺ تشتد إلى زينب تبشرها بذلك فأعطتها أوضاحاً عليها (زينة من الفضة) .

تقول زينب رضي الله عنها: لما جاءني الرسول بتزويج رسول الله ﷺ إياي جعلت لله علي صوم شهرين،وسجدت لله شكراً، ولما نزل قوله تعالى في الآية السابقة :{ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا } قال المفسرون : فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن ولا عقد ، ولا صداق (مهر) وهذا من خصوصياته ﷺ التي لم يشاركه فيها أحد بالإجماع .

وكان تزوجه بها سنة خمس من الهجرة ، وهي أول من مات من زوجاته بعده ، بعشر سنين وعمرها ثلاث وخمسون سنة

---

[١] – الرحيق المختوم في السيرة النبوية للمباركفوري ص٥٣٦ مكة ط١ ١٤٠٠هـ

[٢] – تفسير حدائق الروح والريحان ج٢٣ ص٢٨ ط١ / ١٤٢١ بيروت .

وكان عمرها لما تزوجها النبي ﷺ خمس وثلاثون عاماً وكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول : زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات .

وكانت تقول للنبي ﷺ : جدي وجدك واحد ؛ عبد المطلب وليس من نسائك من هي كذلك غيري ، وقد أنكحنيك الله ، والسفير جبريل . [1]

زيد يخطبها لرسول الله ﷺ : ولما انقضت عدتها قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة ((ما أجد أحداً آمن عندي ، أوثق في نفسي منك ، ائت إلى زينب فاخطبها عليَّ ، فانطلق زيد فأتاها وهي تخمِّر عجينها ، قال زيد ، فلما رأيتها عظمت في صدري فلم أستطع أن أنظر إليها حين عرفت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها ، فوليتها ظهري وقلت : يا زينب أبشري ، أن رسول الله ﷺ يذكرك ، قالت : ما أنا صانعة شيئاً حتى أؤامر ربي ، فقامت إلى مسجدها (أي تستخير الله سبحانه) ونزل القرآن { فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا } فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن . [2]

وليمة العرس : تحدثنا كتب السيرة أن النبي ﷺ أولم في زواجه على زينب بشاة ، كما أن أم سليم أرسلت له (حيساً مع ابنها أنس ، ولنستمع إلى أنس يحدثنا عن هاتين الوليمتين :

- قال أنس ﷺ قالت أم سليم ؛ يا أنس ، إن رسول الله ﷺ أصبح اليوم عروساً ، وما رأى عنده من غداء ، فهلم تلك العُكَّة (وعاء السمن) فناولتها، فعملت له حيساً من عجوة (نوع من التمر) في تَوْر من فخار (وعاء) قدر ما يكفيه وصاحبته ، وقالت : اذهب به إليه قال أنس : فدخلت عليه وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب فقال : ﷺ ضَعْهُ ، فوضعته بينه وبين الجدار ، فقال لي : ادع أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً ، وذكر ناساً من أصحابه سمَّاهم ، فجعلتُ أعجَبُ من كثرة من أمرني أن أدعوه ، وقلة الطعام ؛ إنما هو طعام يسير وكرهت أن أعصيه ، فدعوتهم فقال : انظر من كان في المسجد فادْعُهُ ، فجعلت آتي الرجل وهو يصلي أو هو نائم فأقول : أجب رسول الله ﷺ فإنه أصبح اليوم عروساً ، حتى امتلأ البيت . فقال لي رسول الله ﷺ هل بقي في المسجد أحد ؟ قلت : لا ، فقال : فانظر من كان في الطريق فادْعُهم . قال : فدعوت حتى امتلأت الحجرة فقال : هل بقي من أحد؟ قلت لا يا رسول الله ﷺ قال : هَلُمَّ التَوْرَ ، فوضعته بين يديه ، فوضع أصابعه الثلاث فيه (أي في التور) وغمزه (ضغط بأصابعه عليه) وقال للناس كلوا بسم الله . قال أنس : فجعلت أنظر التمر يربو (يكثر) أو إلى السمن كأنه عيون تنبع حتى أكل كل من في البيت ، ومن في الحجرة ، وبقي في التور قَدْرُ ما جئتُ به ، فوضعته عند زوجته ثم خرجت إلى أمي لأعجِّبَها مما رأيت فقالت : لا تعجب ، لو شاء الله أن يأكل منه أهل المدينة كلهم لأكلوا .

قال ثابت البناني رحمه الله (وهو من أكابر التابعين الذين صحبوا أنساً ﷺ) فقلت لأنس كم تراهم بلغوا ؟ قال أنس : أحداً وسبعين رجلاً . وأنا أشك في اثنين وسبعين . [3]

أقول : وأنا أعجب أيضاً من كثرة الآكلين من طعام اثنين ، فهذه بركة رسول الله ﷺ ومعجزة له ، ولكن أعجب من ضيق الحجرة كيف اتسعت لأكثر من خمسين أو سبعين رجلاً !! وهذه معجزة أخرى !

---

[1] - تفسير الصاوي على الجلالين ج٣ ص٢٦٢

[2] – طبقات ابن سعد ج٨ص ١٠٤

[3] – الطبقات لابن سعد ج٨ ص١٠٥

(٢) روى ابن سعد في طبقاته أيضاً عن أنس ﷺ قال : ما أولم رسول الله ﷺ على شيء من نساءه ما أولم على زينب ، أولم بشاة.[١]

قال الصاوي في تفسيره : فذبح النبي ﷺ شاة وأطعم الناس خبزاً ولحماً حتى تركوه ، ولم يولم النبي ﷺ على أحد من نساءه كما أولم على زينب .[٢]

من كرامة زينب نزول الحجاب : وذكر ابن سعد عن أنس قال : لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش أطعمنا عليها اللحم والخبز حتى امتد النهار ،وخرج الناس وبقي رهط (جماعة) يتحدثون في البيت ، وخرج رسول الله ﷺ، وتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه ليسلم عليهن ، فقلن : يا رسول الله كيف وجدت أهلك ؟

قال أنس : فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أُخْبِر ؟، فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت ، فقال بالباب بيني وبينه (أي أغلقه عليَّ) ونزل الحجاب، ووُعِظَ القوم بما وُعِظوا به.(بالآيات التي في سورة الأحزاب الآية ٥٢ وما بعدها)

يقول أنس ﷺ كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبي ﷺ تقول : إن الله أنكحني من السماء . وفيها نزلت آية الحجاب ، قال أنس فكان القوم في بيت النبي ﷺ ثم قام فجاء والقوم كما هم ، ثم جاء والقوم كما هم ، فرئي ذلك في وجهه (أي الغضب) فنزلت آية الحجاب وهي قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا} (٥٣) سورة الأحزاب .

عائشة تصف زينب وتثني عليها :

قالت رضي الله عنها : يرحم الله زينب بنت جحش ، لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف ؛ إن الله زوجها نبيه ﷺ في الدنيا ونطق به القرآن ، وإنَّ رسول الله ﷺ قال لنا ونحن حوله ((أسرعكن لحوقاً بي أطولكن باعاً)) فبشَّرَها رسول الله ﷺ بسرعة لحوقها به ، وهي زوجته في الجنة . قالت عائشة : فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد النبي ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش ، وكانت امرأة قصيرة – يرحمها الله – ولم تكن أطولنا ، فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد بطول اليد ، الصدقة .

قالت عائشة :وكانت زينبُ امرأة صَناعَ اليد ، فكانت تدبغ وتخرز (الجلود) وتتصدق في سبيل الله .

ولما توفيت زينب قالت عائشة رضي الله عنهن : ذهبت حميدة فقيدة ، مفزع اليتامى والأرامل .

ويروي لنا عروة بن الزبير عن خالته عائشة أنها لما توفيت زينب جعلت تبكي وتذكر زينب وتترحم عليها ، وقالت : كانت امرأة صالحة . قال لها عروة : يا خالة أيُّ نساء رسول الله ﷺ آثر عنده ؟ فقالت : لقد كانت زينب بنت جحش وأم سلمة لهما عنده مكان ، وكانتا أحب نسائه إليه فيما أحسب بعدي .[٢]

---

[١] – الطبقات لابن سعد ج٨ ص١٠٧

[٢] – تفسير الصاوي على الجلالين ج٣ ص٢٦٢والطبقات لابن سعد ج٨ص١٠٧

[٢] – الطبقات لابن سعد ج٨ ص١١٤

إنفاقها وصدقاتها : كما ذكرنا آنفاً أنها كانت امرأة ذات صنعة وتتصدق بما تصنع ، وأرسل لها عمر بن الخطاب ﷺ العطاء (المخصص من الغنائم لأمهات المؤمنين) فلما أدخل عليها قالت : غفر الله لعمر ، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني ، وقالت : صُبُّوه (للمال) واطرحوا عليه ثوباً ثم قالت (لامرأة كانت عندها) أدخلي يدك فاقبضي قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان ، من أهل رحمها وأيتامها ، (ومازالت توزع المال) حتى بقيت بقية تحت الثوب فقالت لها المرأة : غفر الله لك يا أم المؤمنين ، والله لقد كان لنا في هذا حق ، فقالت : فلكم ما تحت الثوب ، قالت : فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهماً . ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت : اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا . فماتت من عامها فكانت أول أزواج النبي ﷺ لحوقاً به . ولما بلغ عمر بن الخطاب ﷺ ما صنعت بالمال فقال : هذه امرأة يراد بها خير ، فوقف على بابها وأرسل بالسلام وقال : قد بلغني ما فرَّقت فأرسل إليها بألف درهم ، فسلكت بها طريق ذلك المال .

وفاتها : توفيت رضي الله عنها سنة عشرين هجرية وعمرها ثلاث وخمسون سنة وصلى عليها عمر ﷺ ودفنت في البقيع بجانب أزواج النبي ﷺ رضي الله عنها . (أخبارها في طبقات ابن سعد والسيرة النبوية) .

٨- زينب بنت خزيمة أم المساكين :

كانت في الجاهلية تسمى (أم المساكين) وهي زينب بن خزيمة بن الحارث الهلالية رضي الله عنها ، وكان زوجها الأول الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف فطلقها ، فتزوجها عبيدة بن الحارث ، فقتل عنها يوم بدر شهيداً رضي الله عنها .

فخطبها رسول الله ﷺ فجعلت أمرها إليه ، فتزوجها ، وأصدقها (مهراً) اثنتي عشرة أوقية (من فضة) ونشاً (أي نصفاً)، وكان زواجه منها في شهر رمضان في السنة الثالثة من الهجرة ، فمكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت في آخر ربيع الآخر من السنة الرابعة وصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنها في البقيع . (كما في طبقات ابن سعد) .

وتذكر كتب السيرة أنها كانت متزوجة من عبد الله بن جحش فاستشهد في أحد ، فتزوجها رسول الله ﷺ سنة أربع وماتت بعد الزواج بشهرين أو ثلاثة ، رضي الله عنها . (الرحيق المختوم) .

٩- جويرية بنت الحارث الزوجة التي كانت بركة على قومها :

هذه الزوجة التي كانت بركة على قومها ، لما تزوجها رسول الله ﷺ وكان ذلك بعد غزوة المريسيع ، وكان قومها من بني المصطلق وقعوا في الأسر بعد الغزوة ، فلما سمع الصحابة الكرام أن رسول الله ﷺ قد تزوجها ، وبلغهم الخبر قالوا : أصهار رسول الله ﷺ يُسْتَرَقُّون ! فأعتقوا ما كان في أيديهم من الأسرى الذين وقعوا في السبي من بني المصطلق ، وبلغ عدد من أعتقوا مائة أهل بيت !

قالت السيدة عائشة : فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها ..

فما قصة زواجها ؟ ومن هي في قومها : ؟

هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار من بني المصطلق الخزاعيين ، وكان أبوها الحارث رئيس بني المصطلق ، وكان قد سار في قومه ومن ألب معه من العرب يريدون حرب رسول الله ﷺ ، وكانت منازلهم بين مكة والمدينة عند (قديد) فلما تأكد رسول الله ﷺ من سيرهم ومرادهم جهز جيشاً وسار إليهم في شعبان سنة ست للهجرة وأغار عليهم وهم على

ماء يسمى (المريسيع) وانتصر عليهم وسبى ذراريهم وأموالهم ، وكان من جملة السبي جويرية بنت الحارث سيد القوم ، وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها فأدى عنها رسول الله ﷺ وتزوجها فأعتق المسلمون بسبب هذا التزويج مائة أهل بيت من بني المصطلق قد أسلموا ، وقالوا أصهار رسول الله ﷺ . (الرحيق المختوم)

ولنستمع إلى السيدة عائشة تحدثنا عن قصة زواجها ؛ قالت : وقعت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ، وكانت تحت ابن عم لها يقال له صفوان بن مالك بن خزيمة ، ذو الشِّفر ،فقتل عنها ، فكاتبها ثابت بن قيس على نفسها (أجرى معها عقد مكاتبة وهو أن تدفع له مالاً تفدي بها نفسها ، عملاً بقوله تعالى :

{... فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ .. } (٣٣) سورة النـــور ، على تسع أواق (من فضة) قالت عائشة : وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه . فبينا النبي ﷺ عندي ، إذ دخلت عليه جويرية تسأله (أن يعينها) في كتابتها فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبي ﷺ ، وعرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأيت فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبني على تسع أواق ، فأعِنِّي في فكاكي فقال ﷺ : أَوَخَيْرٌ من ذلك ؟ فقالت : ما هو ؟ فقال : أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك قالت : نعم يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ قد فعلتُ ، وخرج الخبر فقالوا : أصهار رسول الله ﷺ يُستَرَقُّون فأَعْتَقُوا ما كان في أيديهم من سبي من بني المصطلق ، فبلغ عتقهم مائة أهل بيت بتزوجه إياها ، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها ، وذلك مُنْصَرَفُهُ من غزوة المريسيع (طبقات ابن سعد) .

ويروي ابن سعد أيضاً رواية أخرى أن أباها الحارث جاء إلى النبي ﷺ فقال : إن ابنتي لا يسبى مثلها ، فأنا أكرم من ذاك ، فخل سبيلها فقال ﷺ : أرأيت إن خيرناها أليس قد أحسنا ؟ قال أبوها : بلى وأديت ما عليك ، فأتاها أبوها فقال : إن هذا الرجل قد خَيَّرك فلا تفضحينا فقالت : فإني قد اخترت رسول الله ﷺ قال : والله قد فضَحْتِنا .

وهكذا كانت خطة رسول الله ﷺ بزواجه من نساء العرب ، كما قدمنا في أول بحث أزواجه ، استمالة القلوب المعادية ، ونشر العلم والإسلام في صفوف النساء كما في الرجال .

وقد كان اسمها (برَّة) فسماها رسول الله ﷺ (جويرية) وضرب عليها الحجاب ، وكان يقسم لها كما يقسم لنسائه .

ونشأت نشأة العبادة والذكر والتقوى في بيت رسول الله ﷺ بعد أن أسعدها الله سبحانه باختيارها لرسول الله ﷺ بالإسلام والإيمان كباقي زوجات النبي ﷺ ، وكانت لا تبارح مصلاها بعد صلاة الصبح إلى ارتفاع الضحى تذكر الله سبحانه وتسبح وتحمد الله كما تعلمت من رسول الله ﷺ .

وخرج رسول الله ﷺ مرة من عندها حين صلى الفجر فجلس حتى ارتفع الضحى ، ثم جاء وهي في مصلاها، فقالت : مازلت بعدك يا رسول الله دائبة (مستمرة في ذكر الله وتسبيحه) فقال لها النبي ﷺ : لقد قلت بعدك كلمات لو وُزِنَّ لرجحنَ بما قلتِ ؛ قلتُ : (سبحان الله عدد ما خلق ، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته) .

وكان لها مع الذكر محبة لصوم النفل أيضاً ، فدخل عليها رسول الله ﷺ يوم جمعة وهي صائمة فقال لها : أصمت أمسِ (الخميس) ؟ قالت : لا. قال : أفتريدين أن تصومي غداً (السبت)؟ قالت : لا . قال : فأفطري . وهذا من هديه ﷺ في صيام النفل ألا يفرد يوم الجمعة بصوم دون يوم قبله أو بعده .

وقد استمرت حياتها الكريمة لدى رسول الله ﷺ إلى ما بعد وفاته حيث أكرمها الله سبحانه ، وأكرم قومها ببركتها ، بالإسلام والإيمان وحب الرسول ﷺ .

وفاتها : وتوفيت في المدينة المنورة في شهر ربيع الأول سنة (٥٠) من الهجرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ ، وصلى عليها واليه على المدينة مروان بن الحكم ، ودفنت في البقيع مع أزواج الرسول ﷺ .

وعاشت مع رسول الله ﷺ ما يزيد عن أربع سنين ، إذ تزوجها الرسول الكريم ﷺ وهي بنت عشرين سنة ، وتوفيت وهي ابنة خمس وستين سنة رضي الله عنها .[١]

١٠ – صفية بنت حيي بن أخطب التي رأت القمر وقع في حجرها :

وهذه المرأة أيضاً أكرمها الله سبحانه بالإسلام بعد أن كانت عند طاغوت من طواغيت الكفر (اليهود) وهو (سلَّام بن مشكم) ثم فارقها فتزوجها كنانة بن أبي الحقيق النضري الذي قتل عنها في معركة خيبر ، وأبوها طاغوت كبير أيضاً من طواغيت يهود (حُيَيْ بن أخطب) . فاستنقذها الله سبحانه بالإسلام وبالزواج من رسول الله ﷺ ،

ولنستمع إلى قصة زواجها كما رواها ابن سعد في الطبقات قال : لما غزا رسول الله ﷺ خيبر وغنَّمه الله أموالهم ، سبى صفية بنت حيي ، وبنت عم لها من (حصن القَمُوص) فأمر بلالاً أن يذهب بهما إلى رحله ، فكان لرسول الله ﷺ صَفِيٌّ من كل غنيمة (أي يختار من الغنائم ما يستحقه بنص القرآن) فكانت صفية مما اصطفى يوم خيبر ، وعرض عليها رسول الله ﷺ أن يعتقها إن اختارت الله ورسوله ، فقالت : أختار الله ورسوله ، وأسلمت وأعتقها وتزوجها وجعل عتقها مهرها ،

ورأى رسول الله ﷺ بوجهها أثر خضرة قريباً من عينها فقال : ما هذا ؟ قالت : **يا رسول الله رأيت في المنام قمراً أقبل من يثرب حتى وقع في حجري** ، فذكرت ذلك لزوجي كنانة فقال : تحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة ؟ فضرب وجهي ..

(وبقي رسول الله ﷺ ما يزيد على شهر في خيبر ولم يخرج منها حتى انتهت عدة صفية بحيضة) فخرج رسول الله ﷺ من خيبر ولم يعرِّس بها ، وأناخ رسول الله ﷺ البعير لصفية لتركب ووضع رجله لتضع قدمها على فخذه وتركب ، فلم تفعل ، ووضعت ركبتها على فخذه ، وسترها رسول الله ﷺ وحملها وراءه ، وجعل رداءه على ظهرها ووجها ، وجعلها بمنزلة نسائه ، فلما صار إلى منزل يقال له (تبار) على ستة أميال من خيبر مال (أليه) يريد أن يعرِّس بها فأبت عليه ، فوجَدَ (غضب في نفسه) ﷺ من ذلك ، فلما كان بالصهباء ، وهي على بريد من خيبر (أبعد من الأول) قال رسول الله ﷺ لأم سُلَيْم : ((عليكُنَّ صاحبتكن)) فأصلحت أم سُليم وأم سِنان حال العروس ومشَّطتها وعطَّرتها (ثم دخل عليها رسول الله ﷺ وقضى ليلته تلك عندها) [٢].

تقول أم سليم ؛ فسألتها عما رأت من رسول الله ﷺ ، فذكرت أنه سُرَّ بها ، ولم ينم تلك الليلة ، ولم يزل يتحدث معها ، وقال لها : (ما حملك على الذي صنعت حين أردت أن أنزل المنزل الأول فأدخل بك ؟ فقالت : خشيت عليك قرب يهود ، فزادها ذلك عند رسول الله ﷺ) .

وليمة العرس : ولما أصبح رسول الله ﷺ أَوْلَم وليمة العرس وكانت الوليمة – كما تحدثنا أم سُليم – الحَيْسُ (وهو التمر مع السمن) ومعه الإقط وجعلوا المائدةَ الأنطاعَ (الجلود) التي كانت معهم ، فتغدى القوم يومئذ ثم راح رسول الله ﷺ فنزل (القصيبة) على طريق العودة إلى المدينة .

---

[١] - طبقات ابن سعد ج ٨ ص (١١٦- ١٢٠)

[٢] - طبقات ابن سعد ج ٨ ص١٢٣ .

تقول أم سليم : فُحِصت الأرض أفاحيص ، (جعلت حُفراً كالقدور) ثم مد عليها الأنطاع ثم جعل فيها السمن والإقط والتمر .

ويقول ابنها أنس بن مالك ؛ لما أصبح رسول الله ﷺ (بعد تعريسه بصفية) قال : من كان عنده فضل زاد فليأتنا به ، قال أنس ؛ فجعل الرجل يأتي بفضل السويق (القمح المحمص) والتمر والسمن حتى جمعوا من ذلك سواداً ، فجعلوا حيساً يأكلون منه ويشربون من (ماء مطر نزل في الليل) إلى جنبهم ، فكانت تلك وليمة رسول الله على صفية .

وكان أبو أيوب الأنصاري حارساً على باب النبي ﷺ ليلته تلك ، فلما أصبح رسول الله ﷺ كبَّر ومع أبي أيوب السيف فقال : يا رسول الله كانت جارية حديثة عهد بعرس ، وكنت قتلت أباها وأخاها وزوجها ، فلم آمنها عليك فضحك رسول الله ﷺ وقال له خيراً .

مؤانسة الرسول الكريم ﷺ لها : لما دخلت صفية على النبي ﷺ قال لها : لم يزل أبوك من أشدِّ يهود لي عداوة حتى قتله الله فقالت : يا رسول الله إن الله يقول في كتابه العزيز :{.. وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى .. } (١٦٤) سورة الأنعام ، فقال لها رسول الله ﷺ إختاري ، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي ، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك ، فقالت : يا رسول الله لقد هويت الإسلام ، وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك ومالي في اليهودية أرب (رغبة) ومالي فيها والد ولا أخ ، وخيرتني الكفر والإسلام ، فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي .

نساء المسلمين ينظرن إليها : تقول أم سنان الأسلمية (وكانت مع أم سليم فيمن أصلح عروسه صفية لرسول الله ﷺ) لما نزلنا المدينة لم ندخل منازلنا حتى دخلنا مع صفية مترلها ، وسمع بها نساء المهاجرين والأنصار فدخلن عليها متنكرات فرأيت أربعة من أزواج النبي ﷺ متنقبات ، زينب بنت جحش ، وحفصة وعائشة وجويرية ، ينظرن إليها ، فأسمع زينب تقول لجويرية : يا بنت الحارث ما أرى هذه الجارية إلا ستغلبنا على عهد رسول الله ﷺ . فقالت جويرية : كلا إنها من نساء قلَّ ما يحظين عند الأزواج !!

وكان عمرها رضي الله عنها حين تزوجها رسول الله ﷺ سبع عشرة سنة . وظلت على مترلتها عند رسول الله ﷺ وظل رسول الله ﷺ أثيراً ومكرماً عندها ، وقد اجتمع نساؤه في مرض وفاته ﷺ فقالت صفية :

(والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك (من الوجع) بي ، فغمزها الزوجات الأخريات وأبصرهن رسول الله ﷺ فقال لهن : مضمضن (أفواهكن) فقلن : من أي شيء يا نبي الله ؟قال : من تغامزكن بصاحبتكن ،والله إنها لصادقة .

وكانت رضي الله عنها من الذين كانوا يمدوّن عثمان ﷺ عندما حصر من قِبَل الثائرين من جماعة ابن سبأ ، ومنعها الذين تجمعوا حول الدار من الدخول عليه وضربوا بغلتها ، فعادت ، ثم نصبت خشباً من مترلها إلى مترل عثمان ﷺ تنقل إليه الماء والطعام .

وفاتها : توفيت رضي الله عنها سنة (٥٢) هجرية في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، ودفنت في البقيع وعمرها تجاوز ستين عاماً رضي الله عنها وأرضاها . (أخبارها في طبقات ابن سعد ، والسيرة النبوية لابن هشام ، والرحيق المختوم) .

١١ – ريحانة بنت زيد النضرية التي اختارت الله ورسوله :

هي ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة من بني النضير ، وكانت متزوجة رجلاً من بني قريظة يقال له الحكم .

ولما حارب رسول الله ﷺ بني قريظة كانت فيمن وقع عليهم السبي (الأسر) وكانت عند زوجها وهو محب لها ومكرم ، فلما قتل ، قالت ريحانة : لا أستخلف بعده أبداً ، وكانت ذات جمال ، فلما عُرِض السَّبْيُ على رسول الله ﷺ قالت : كنت فيمن عرض عليه فأمر بي فعزلت ، وكان يكون له صفي من كل غنيمة ، قالت : فلما عزلت خار الله لي فأرسلني رسول الله ﷺ إلى منزل أم المنذر سلمى بنت قيس أياماً .. ثم دخل عليَّ رسول الله ﷺ فتحييت منه حياءً فدعاني فأجلسني بين يديه فقال : (إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله لنفسه) ؟

فقلت : إني أختار الله ورسوله ، فلما أسلمتُ ، أعتقني رسول الله ﷺ وتزوجني ، وأصدقني (مهراً) إثني عشرة أوقية ونشاً، كما كان يصدق نساءه ، وأعرس بي في بيت أم المنذر ، وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه ، وضرب عليَّ الحجاب .

قال ابن سعد : وكان رسول الله ﷺ معجباً بها ، وكانت لا تسأله إلا أعطاها ذلك ، وقيل لها ؛ لو كنت سألت رسول الله بني قريظة لأعتقهم ، وكانت تقول : لم يَخْلُ بي حتى فرَّق السبيَ، ولقد كان يخلو بها ويستكثر منها ، فلم تزل عنده حتى ماتت لما رجع من حجة الوداع ، فدفنها في البقيع ، وكان زواجه منها في المحرم ، سنة ست من الهجرة .

وهناك رواية في طبقات ابن سعد تقول : أنها خيرها بين أن يعتقها ويتزوجها ، وبين أن تبقى (أُمَةً) ملك اليمين ؟ فقالت يا رسول الله أكون في ملكك أخفُّ عليَّ وعليك . فكانت في ملكه حتى ماتت . والراجح أنها اختارت الزواج من رسول الله ﷺ بعد إسلامها وعتقها . رضي الله عنها وأرضاها . (طبقات ابن سعد ، الرحيق المختوم) .

١٢ – ميمونة بنت الحارث الهلالية آخر أزواج رسول الله ﷺ :

هي ميمونة بنت الحارث بن حَزْن الهلالية ، أخت أم الفضل زوجة العباس عم النبي ﷺ خطبها رسول الله ﷺ بعدما توفي زوجها (أبو رهم بن عبد العزى) من عمه العباس ، وكان يلي أمرها .

كان هذا في شوال بعدما تجهز رسول الله ﷺ لأداء عمرة القضاء (التي صدَّه عنها المشركون بعد الحديبية) وذلك عام سبع من الهجرة وكانت جعلت أمرها إلى العباس بعد وفاة زوجها فعقد عليها قبل أن يحرم من ميقات العمرة في ذي الحليفة ، ثم بنى بها بعد أن خرج من مكة وأنهى عمرته هو والمسلمين الذين معه .

وكان من شروط صلح الحديبية أن لا يعتمر المسلمون عامهم ذاك ، بل يأتوا في العام القادم ولمدة ثلاثة أيام فقط , فلما أنهى رسول الله ﷺ هو والمسلمين الذين كانوا معه مناسك العمرة , طلب منهم المشركون مغادرة مكة فطلب منهم رسول الله ﷺ البقاء أيام أخرى ويبني بزوجته ميمونة ويولم لهم وليمة العرس فأبوا عليه ، فغادر هو وأصحابه الكرام خارج مكة إلى مكان يقال له (سَرِف) وهو على طريق المدينة المنورة بعد مكة بحوالي (٢٠ كم) ويسمى الآن (النورية) فبنى بها هناك ، وأقام ثلاثة أيام ثم ارتحل هو والأصحاب الكرام إلى المدينة المنورة .

وكان اسمها برَّة فسماها رسول الله ﷺ (ميمونة)

وكانت تحدِّث أنها اغتسلت مع رسول الله ﷺ من أناء واحد فيه أثراً لعجين ، وقالت : اغتسلت من جفنة (إناء يوضع فيه الماء) ففَضَلَتْ فضلة فجاء النبي ﷺ فاغتسل منها ، فقلت : إني قد اغتسلت منها ، فقال : ليس على الماء جنابة .

وحدثت عن تواضع رسول الله ﷺوحلمه أنه كان مرة في ليلتها قالت : خرج ذات ليلة من عندي فأغلقت دونه الباب ،

فجاء يستفتح الباب ، فأبيت أن أفتح له فقال : أقسمت إلا فتحته لي ، فقلت له : تذهب إلى أزواجك في ليلتي هذه ؟ قال ((ما فعلت ولكن وجدت حَقْناً من بولي)) . فعليك الصلاة والسلام يا سيدي يا رسول الله ما أحلمك وما ألطفك !

قالت عنها عائشة رضي الله عنها : أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم .

ودخل عليها أحد أقاربها فوجدت منه ريح شراب فقالت : لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدونك ، لا تدخل بيتي أبداً .

وعاشت بعد رسول الله ﷺ وكانت آخر أزواجه وفاة ، وكان لها يوم توفيت ثمانون سنة في خلافة يزيد بن معاوية عام (٦١) هـــ وماتت في مكة فحملها عبد الله بن عباس ودفنها بسرف ، في موضع زواجها برسول الله ﷺ ،

وقبرها في سرف معروف اليوم عليه جدار على يمين الطريق القادم إلى مكة رحمها الله ورضي عنها .

عدد زوجات النبي ﷺ :

فهذه عِدَّةُ زوجات النبي ﷺ التي ذكرناهن آنفاً ، وقد مات منهن ثلاث في حياته وهن: خديجة قبل الهجرة ، وزينب وريحانة بعد الهجرة ، وقبض رسول الله ﷺ عن تسع منهن وكن في عصمته وهنَّ : عائشة ، حفصة ، أم سلمة ، وأم حبيبة ، وزينب بنت جحش ، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، وصفية بنت حيي النضرية، رضي الله عنهن أجمعين .

أما مارية القبطية أم إبراهيم :

فإنها كانت سريَّة (أَمَة) أهداها له المقوقس ملك مصر ، ومعها أختها سيرين فأعطاها لحسان بن ثابت ، وقد ولدت مارية لسيدنا رسول الله ﷺ ابنه ابراهيم ، وتوفي في حياة رسول الله ﷺ ولما يكمل عمره السنتين، وقد أسكنها رسول الله ﷺ أول ما قدمت من مصر في بيت لحارثة بن النعمان ، وكانت جارة لأزواج النبي ﷺ

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية ، وذلك أنها كانت جميلة من النساء جعْدة ، وأعجب بها رسول الله ﷺ ، وكان أنزلها أول ما قُدم بها في بيت لحارثة بن النعمان فكانت جارتنا فكان رسول الله ﷺ عامة النهار والليل عندها حتى فزعنا لها ، فجزعت (خافت) فحولها إلى العالية ، فكان يختلف إليها هنا (يتردد عليها في العالية ، وهي من ضواحي المدينة) فكان ذلك أشد علينا ، ثم رزقه الله منها الولد وحرمنا منه .[1]

وكانت هي التي حرَّمها رسول الله على نفسه كما يروي القاسم بن محمد قال : خلا رسول الله ﷺ بجاريته مارية في بيت حفصة ، فخرج النبي ﷺ وهي قاعدة على بابه ؛ فقالت يا رسول الله أفي بيتي وفي يومي ؟

فقال النبي ﷺ : هي عليَّ حرام فأمسكي عني، قالت : لا أقبل دون أن تحلف لي، فقال : والله لا أمَسُّها أبداً، فأنزل الله قوله في أول سورة التحريم :{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١)قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (٢) سورة التحريم ،

وفاتها : وتوفيت مارية رضي الله عنها في المحرم سنة ١٦هـــ وصلى عليها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنها مع المسلمين ودفنت في البقيع بجانب أزواج النبي ﷺ .

---

[1] - ابن سعد ج٨ ص٢١٢

وعقد رسول الله ﷺ زواجه على :

فاطمة بنت الضحاك الكلابية ، و لم يدخل بها ، فارقها قبل الدخول عندما طلبت منه اللحوق بقومها.

وكذلك **أسماء بنت النعمان الكندية** ، التي استعاذت منه عندما دخل عليها ، ففارقها أيضاً ولحقت بأهلها .

وتذكر كتب التفسير والسيرة أيضاً أن **أم شريك** ، **غُزَيَّة بنت جابر بن حكيم الدوسية** ، وهبت نفسها للنبي ﷺ ، و لم يقبلها رسول الله ﷺ فلم تتزوج حتى ماتت .

منازل نساء النبي ﷺ :

وكانت منازلهن بجانب المسجد ، إذا تزوج واحدة بنى لها حجرة بجانب حجرات من سبقها من الطرف الشرقي للمسجد النبوي .

حياة النبي ﷺ مع أزواجه :

وواضح من خلال استعراض حياتهن مع النبي ﷺ أنه كان مثال التواضع ، والعطف والرحمة واللين ، يشمل ذلك كله حلم عظيم منه ﷺ عليهن ، وعلى غيرهن ، وعلى ما كن يفعلنه معه ﷺ مما تفعله الزوجات ، وكان يحلم عليهن ويضحك من صنيعهن ، ويقسم أيضاً لهن أيامهن معه ، ويزور كل واحدة في ليلتها ، وكان يغتسل أحياناً غسلاً واحداً من الجميع والغالب يغتسل لكل مرة ، ليبين لنا الجواز ، وكانت ترتفع أصواتهن عليه ، ويحلم ، وكن يقاطعنه أحياناً ، ويوصدون الباب دونه ، إذا غضبن .

ولما طلبن منه زيادة النفقة ، ونزلت الآيات وهي قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} (٢٩) سورة الأحزاب . فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة رضي الله عنهن جميعاً .

وكما أسلفنا من الحكمة في تعدد زوجاته ﷺ ، ومنها نقل أخبار حياته البشرية العادية للناس ، وما يجري بين الزوج والزوجة ليمكن للناس الإقتداء بها ، فكان يجري مع أزواج رسول الله ﷺ ما يجري بين عامة الناس .

فهذه حياته الحياة البسيطة غير المعقدة ، والتي هي في حقيقتها تواضع ورحمة ، وصفح وعفو ، وبساطة ، والإنفاق مما رزق الله وقدَّر ، وعدم التطلع إلى ما هو غير موجود ، حياة أقرب ما تكون إلى الفقر وقلة ذات اليد ، رغم ما أفاء الله عليه من الغنائم والأنفال ، ليستطيع أن يقتدي بها الغني والفقير ، والكبير والصغير ، والأمير والأجير ، وأن المقصود هو رضوان الله سبحانه ، وعبادته ، وعدم التبسط في الدنيا حتى لا يحرم من نعيم الآخرة .

الفصل الثالث

قطوف من رياض الكتب عن الأزواج والزوجات

الحب هدية من الله للعروسين

١- من كتاب (أضواء نحو بيت سعيد) للأستاذ محمد كامل الشربجي : اخترنا هذه القطوف :

كيف يبنى الحب وينمو في بيت الزوجية ؟ إن أول ما يبارك الله للزوجين يغرس فيهما نبتة الحب كغرس نبتة حب الأمومة والأبوة وهو أشبه بالسماد للنبات ليقوى فيثمر وينمو .

وقد غرس الله هذه الغرسة ليعيش الزوجان بها حياة جديدة وجميلة ، وكان لابد من هذه الغرسة ليعيش الزوجان بها حياة جديدة وجميلة ، وكان لابد من هذه الغرسة الإلهية بعد غربة وفراق طويل بين الزوجين اللذين جمع بينهما القدر في الوقت الذي أذن الله به وإلى هذا أشارت الآية (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم (٢١) الآية.

وهذه النبتة والهدية تقع بعد ليلة الزفاف وليس بمجرد عقد الزواج بينهما لتحقيق الغاية من الزواج ولولا هذه الهدية من الله الدالة على حكمته البليغة لكان من العسير جداً أن يأتلف جسمان ويتقبلا التعايش والاندماج رغم تفاوتهما أحياناً أفكاراً ومشاعر وتربية .

وإذا ما لاحظنا عدم نمو هذه النبتة أو غيابها فالعلة هي التقصير في رعاية هذه النبتة ومن سوء تدبير في تعهدها وسقايتها سواء كان ذلك من قِبَل الزوج أو الزوجة أو أهلهما كما يقصر الفلاح في سقاية النبتة وفي رعايتها بعد غرسها فتذبل ، وقد تموت فيخسر ما غرس وما بنى ، فالله سبحانه قال بشأن الزوج والزوجة ﴿ خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾ الروم ٢١ ، فهي مقدرة وعليك أن تبحث عنها بوسائلك فلا شأن لك في تغيير أو تبديل ، لأن الله منذ الأزل خلقها لك . أما من حيث غرس هذا الحب فقوله سبحانه (جعل) لا بلفظ (خلق) فهو أوجد لك النبتة وعليك رعايتها فانتبه إلى الفرق بينهما .

الحب وقنواته :

صحيح أن حقيقة الحب هو معنى وجداني غير ملموس ولا محسوس محله القلب ومكامنه المشاعر والنفس والوجدان ولكن لهذا الحب الوجداني قنوات محسوسة وملموسة يعبر كل من الزوجين بطريقتهما عن مشاعر الحب المتمكن في قلبيهما .

وموضوعنا هذا هو أن نتعرف على بعض من هذه القنوات وصولاً للغاية العظمى من الزواج (وهو الحب الذي يغمر أفراد الأسرة جميعاً لتكون الخلية النقية لبناء المجتمع الإنساني والإسلامي) ولتتجنب الأسرة بسبب هذا الحب كل شوائب العلاقات الأسرية ويؤتي الزواج ثمره بعد حين بإذن ربه) . اهـ ص٢١ -٢٢ ثم قال :

قنوات هذا الحب :

١- **الحرص على تبادل عبارات الحب في كل يوم من أيام الزواج** ، ولذلك طرق شتى تناسب الحال والمقال ؛ كلمة رقيقة ، هدية على غير انتظار ..

ولقد أشار إلى كل منها أدب الإسلام في تبادل الحب في العلاقات الزوجية في قوله ﷺ (تهادوا تحابوا) وفي دعوته إلى أن

يصرح الصديق لصديقه إذا لقيه وألفته نفسه وروحه فيقول له (إني أحبك) والزوجة أولى بأن يقول لها الزوج إني أحبك، ويكررها لها وقد يرى بعض المتعصبين غضاضة من هذا التصريح فلا حق لهم في ذلك مادام التوجيه النبوي قد دعانا إليه .

وقد يتذرع البعض فيقول لا داعي لهذا فالزواج معناه الحب ، وردُّنا ؛ بأن ذلك لا يكفي لدوام المحبة بل لابد من التصريح بالحب فالكلمات تستطيع إحياء مشاعر الحب والإبقاء عليه قوياً ثم إن إظهار مشاعر الحب والإبقاء عليه قوياً ، خير من كتمانها في النفس ..

ولعل أبلغ ما عرف من تبادل كلمات الحب العظيمة بين الزوج والزوجة هو ما جرى بين الرسول الكريم ﷺ وبين زوجته السيدة عائشة رضي الله عنها فقد قال لها : (أنتِ أحلى عندي من تمر وعليه زبدة) فأجابته بكل رقة وحنان : (وأنتَ أحلى عندي من عسل وعليه زبدة) .

وبصراحة نقول إن تجنب مثل هذا الغزل بين الزوج والزوجة معاند للفطرة ومخالف لأدب النبوة في الحب وضد طبائع الأشياء ومن خالف ذلك فهو في شباك التكلف والتصنع – وهذا مما لا يحبه الله ، ومن أشد العجب أن نصرح بالألفاظ النابية ونقذف بها بعضنا دون خجل ، ولا نحاول كبتها كما نكبت الألفاظ الناعمة والأصوات الرقيقة .

٢- **مراجعة الزوجين لأحوال أُسرٍ سعيدة جادين في التعرف على أسباب سعادتها** ووسائل نمو الحب فيها والتلاؤم الحاصل فيها ، ويقتديان بها فلا بأس بذلك ، فالتعلم مفيد والحكمة ضالة المؤمن أين وجدها التقطها بل هو أحق بها ؛ فالخبرة والقدوة حتى في هذا لا تنكر ، فمن محاسنها أنها تُقَصِّرُ عليك المدة وتجنِّبُكَ الأخطاء والفشل وتوصلك بسرعة إلى السعادة الزوجية وأسرارها ، فالأسوة الحسنة بأمثال هذه الأسر دليل على رجاحة العقل وجودة الفكر وحسن الاختيار .

٣- **العلاقة الجنسية هي الوسيلة الهامة من وسائل التواصل والتعبير** ، وهذا لا يعني أن الجنس هو أهم نواحي هذه الحياة عند الزوجين بل إنما يعبران عن التواصل الروحي والجسدي وهي إحدى وسائل التعبير عن الحب وهي أول إحساس يعرفه الإنسان منذ باكر طفولته يبعث عنده الشعور بالطمأنينة والراحة والقرب ، والعلاقة الجنسية في الشريعة عبادة يثاب الإنسان عليها وما كان لها هذه الأهمية إلا لأنها وسيلة من وسائل التعبير عن الحب والرضا وهما قوام السعادة في الحياة الزوجية ، وعلى الزوجين أن يوفِّقا بين التزاماتهما في الأعمال ، وبين خلوة كل منهما مع شريك حياته ، **ولا وجود لأي شيء في الدنيا يبرر الامتناع عن مثل هذه المخادنة والتقليل من أهميتها بحجة الانشغال بالعبادة وشؤون الدنيا ،**

والمخادنة الجنسية التي نتكلم عن أهميتها وعن آثارها في جو السعادة الزوجية هي التي أحلها الله ونظمها على وجه فيه كل الطهارة والحب والوداد ، فالعلاقة الجنسية هي وثيقة الصلة بمشاعر الحب والحنان بين الزوجين ، وإن مِثْلَ هذه القناة في نمو الحب وبنائه ، تجعل في الزواج حياة متجددة نامية على الدوام وإذا أُهْمِلَتْ وكانت النظرة إليها مغلوطة أو سطحية أصبحت الحياة الزوجية بلا روائح زكية ولا عطور شجية ولا قطرات ندية ولا لمسات ناعمة ولا همسات خفية .

٤- **ومن الأهمية بمكانٍ في بناء الحب ونموه ؛ هو التبادل الدائم لعبارات التقدير والاحترام بين الزوجين في المحادثة والنداء** وحين اليقظة في الصباح والعودة إلى النوم في المساء وفي كل ما يشعر أن كليهما له قيمة عند الآخر كأن ينادي كل منهما على الآخر باللقب والاسم الذي يحبه وفيه معنى الاحترام والتقدير كأن يقوم له إذا دخل وكان غائباً ؛ويبادر بإجلاسه في المكان اللائق ولو كان هذا في بيته ، فالمعول على الشعور بالاهتمام والاحترام ، ولا تبدأ بالطعام قبل حضوره ، أو يبارك لها إذا لبست ثوباً جديداً ويصبِّح عليها في وقت الصباح وتهتم به إذا كان قادماً من سفر .. وهكذا فهي أحق بذلك وهو أحق أيضاً بهذا من إظهار اللباقة والذوق والكلام الحسن للآخرين ومن الأصدقاء والغرباء . فمثلاً لا تسمع الزوجة من

زوجها (هنيئاً) إذا شربت ولا كلمة (رحمكِ الله) إذا عطست وهكذا فالاستهانة بذلك غلط ووحدة الحال والأهل لا يمنع من ذلك الاحترام المتبادل مطلوب .

فالتجربةُ لزواجٍ ناجح أثبتَتْ أن ذلك أمراً هاماً وضرورياً في ديمومة الحياة الزوجية المصحوبة بالاحترام (فحب بلا احترام لا يدوم) .

٥- **إشعار كل منهما بأنه مستمتع تماماً بإنجازات أعمال كل منهما مع الآخر** ، سواء كان عملاً تؤديه الزوجة في تدبير منزلها وتربية أولادها أو عملاً يؤديه الزوج في أعماله المكتبية ، ومثل ذلك في لباس ترتديه أو وجبة طعام تحضرها ولا يبخل الزوج بالتعبير عن اعتزازه بأعمالها وبهجته بها وبحركاتها وأعمالها اليومية وهذا ما يسمى (بالوعي الدائم) لكل من الزوجين، وهو بالنسبة لبعض النساء الحب ذاته ، فالشعور بالإعجاب بها وبما تؤديه هو أغلى ثمن يدفعه الزوج لكسب قلب زوجته، والسيطرة على مشاعر الحب والاحترام المكنونة فيها ، فقد ذكرت لي سيدة أنها تكون متعبة من تربية أولادها وأعمالها المنزلية فإذا جاء زوجها من عمله ودعا لها بالعافية وقدَّر لها أعمالها وشكرها ذهب عنها ثقل تعبها وعادت العافية إلى بدنها وأدخل بذلك السرور على نفسها ، ثم قالت وينعكس ذلك حين يتجاهل أو لا يقدر ذلك ، فحُبٌّ بلا تبادل الاحترام والتقدير لا يدوم ، فالألفة الزائدة التي تنشأ عن مراعاة ما ذكرناه قناة هامة إلى نمو الحب وإذكائه وهو في الوقت نفسه تربية للأولاد وتعليمهم على ذلك ويسود في جو الأسرة بشكل عام (جو الاحترام المتبادل والحب والحنان) وهو كسب حقيقي للقلوب، والسيطرة على مشاعر الحب المكنونة فيخرجها من أكنانها ويستحوذ على قلبها فالنفس بالفطرة تحب من يعجب بها ويقدرها ومن يجرب يربح ولا يخسر وينتصر ولا ينهزم .

٦- **بأن يتقبل الطرفان بصدر رحب طلبات كل منهما للآخر**؛لأن الطلبات والعمل على تأمينها هي جزء لا يتجزأ من كل علاقة زوجية سعيدة ، وكذلك طريقة تقبلنا لها وصبرنا عليها كلها أُسُسٌ في بناء الحب وقوة العلاقة بين الزوجين ، ويَشْعُرَا أنَّ مصير كل منهما مرتبط بالآخر ، وهذا يفوق في شدته وتأثيره من التلاحم الجسدي بين الزوجين ، وإن استعداد كل من الزوجين لتنفيذ هذه المشورة الزوجية في بناء أسس الحب ونموه لدليل على الوعي الدائم للزوجين المتحابين اللذين يشتركان معاً وفق الظروف المتاحة على الكشف عن دخائل النفس وما تنطوي عليه من مكنون الحب والتضحية وارتباط المصير وهذا أمر متيسر لكل من أراد في بيته زواجاً سعيداً .

أهم قناة لكشف الحب : هناك مقولة في الزواج السعيد تقول إن الزوجين السعيدين يَشْعُرانِ **أنهما لبعضهما في ساعات المرض والشدة والأزمات** ، ويُخْلِصَان في رعاية مصالح بعضهما ويحرصان على رفاهية بعضهما بعضاً فالشدائد المؤلمة والمحرجة هي أكثر أهمية في الكشف عن دخائل النفس واستعدادها لاستمرار هذا الحب أو ضعفه أو التضحية أو وحدة المصير .. وتحضرني قصة ذلك الرجل الصالح والمحب لزوجته فقد مرضت زوجته وطال مرضها واستطلق بطنها وصبر عليها وكان يزيل النفايات من تحتها و لم يُمَكِّنْ أمها وأختها في ذلك خوفاً من مِنَّتِهِمَا عليها إذا شُفِيت ، ثم قال لن أتزوج وإن طال مرضها لئلا أجمع بذلك عليها مرضين مرضاً حسياً ومرضاً معنوياً .

و لم يستطع الخيال أن يحيط بمقدار هذا الحب والحنان والمشاعر العظيمة التي تفجرت عند زوجته نحوه وبالأخص حينما علمت مقدار كرامتها عنده فهو يحرِصُ أن لا يكون لأحدٍ عليها مِنَّة في حال ضعفها حتى ولا أمها ولا أختها ولازال بها بهذا العطاء من التضحيات و المشاعر حتى شفيت وعافاها الله .

وحدث أن الزوج بعد فترةٍ مَرِضَ وأقعدَه مرضُه عن الخروج لقضاء حاجته فعاملته بالمثل في الطيب وفي دوافع الحب والرضا والصبر . فنمى الحب بينهما بعد ذلك واستمر وظلل الأسرة والأولاد فكان يسمى بحق بالزواج السعيد ؛

اختبار مقدار الحب

وإن تقدير مشاعر الرضا والغضب والحزن والفرح والشدة والرخاء عند كل من الزوجين لبعضهما هو المحك الصحيح لمقدار الحب والإخلاص ووحدة المصير عند كل منهما ، تَصوَّرْ مثلاً أن **زوجاً** لا يجلس إلى جانب زوجته أثناء ولادتها ، وتشعر الزوجة أن جلَّ اهتمامه أن يُبَلَّغَ بالهاتف بالنهاية وهو جالس في مقهى أو عند رفاقه ، أو **زوجاً** آخر ليس له من اهتمامه بزوجته إذا مرضت إلا أن يعطيها أجر المداواة ويدعها تذهب إلى الطبيب وإحضار الدواء دون أن يكون لجنبها يتعرف من الطبيب على مقدار مرضها وأسباب آلامها .

وأشد من هذا وذاك ذلك الزوج الذي لم يقدر مشاعر الحزن والأسى عند زوجته بوفاة أمها فيغازلها ويطلب منها المخادنة الزوجية وهي لازالت في حزنها الشرعي فتحس من أعماقها بعدم تقدير مشاعرها حتى في أشد حالات تأثرها وحزنها فهو ضحية شهواته وفدائي في سبيل قضاء حاجاته ، وأصحاب الطباع الغليظة يرون في هذا تسلية وتخفيفاً وهذه هي من الأعذار التي هي أقبح من الذنوب .

ما قيل هذا في حق الزوج يقال أيضاً في حال تصرفات الزوجة وتجاهلها لمشاعر زوجها حين الشدائد والمناسبات الهامة . أليس في كل هذا تحريك لمشاعر الكراهية والأنانية وحب الذات وعدم الاهتمام وإضعاف لدوافع الحب والتضحية والالتزام في دوام الحياة الزوجية وإسعادها .

ولا أنسى أن أنوه بأن من أشد عوامل إضعاف الحب بين الزوجين حديثَ كل منهما عن عيوب الآخر والتنقيب عن الجوانب السيئة والسلبية رغم الاعتقاد بأن الكمال ليس محتماً ولابد من الخطأ ، فلذلك على كل منهما والحالة هذه أن يحاول الاستمتاع بالنواحي الإيجابية لكل منهما بدلاً من النظر إلى السلبيات ، فيبدو من خلال النظر إلى وجوه الأسرة بأنها عابسة ومقطبة ويخيم عليها التشاؤم فيضعف الحب ويفقد الود وينعدم الحنان .

إن مثل هذه النماذج في الحياة الزوجية على النحو الذي ذكرنا يحِّول الزوجين ويجعلهما يتعايشان وكأنهما كتلتين من رصاص ، وفي صدريهما يسمعان صوتاً يهتف طالباً إنهاء ذلك الوجود وتصبح الحياة الزوجية بينهما تقليدية وتعايشاً جسدياً واستمراراً للحياة دون بهجة وسرور ودون معنى للحياة الكريمة السعيدة وقد يؤدي مثل ذلك ومع تكرار لهذه التصرفات وتجاهل مشاعر الآخرين وحقوقهما إلى أن يخطو الزوجان الخطوة الأخيرة النهائية إلى الفراق أو الصبر مع البغض الشديد وذلك أشبه بشعور تداعي سقوط البيت وهما يتأهبان لذلك فعليهما والحالة هذه وقد فقدا السيطرة على نفسيهما في إدارة الحياة الزوجية إلى شاطىء السلام التريث قليلاً قبل هذه الخطوة النهائية لعل هنالك أملاً يرد الروح إلى ذلك الزواج الذي يوشك على السقوط . اهـــ من كتاب أضواء نحو بيت سعيد .للأستاذ محمد كامل الشربجي .

٢- ومن كتاب (المرأة المتبرجة وأثرها السيء في الأمة) للأستاذ عبد الله التليدي ننقل بعض الفصول التي تناسب بحثنا .

وقد أجاد الكاتب في البحث ونقل صوراً من واقع المرأة الغربية وفجورها , وأثر ذلك في خراب الأسر والمجتمعات الغربية ، ونقل عن كثير من دعاة الإصلاح هناك صيحاتهم وتحذيراتهم من خطر هذا التبرج والإباحية التي وصلت إلى المرأة هناك ، وذكر أيضاً واقع معظم المجتمعات الإسلامية التي تأثرت بسفور النساء وتبرجهن جراء تقليد المجتمعات الغربية .

ثم ذكر الآداب الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية الداعية إلى صيانة المرأة وحجابها ، ومنع اختلاطها بالرجال ، والتحذير من الأخطار التي وقعت فيها المرأة الغربية ، ثم المرأة المسلمة ..

لا يلزم المرأة ما يلزم الرجل من الواجبات : ثم عقد في فصل خاص أن المرأة المسلمة لا يلزمها ما يلزم الرجال من الواجبات ، وذلك تخفيف من الله عنها وصيانة لها فقال : (وظيفة المرأة – كما تقرر القول في هذا الكتاب – هي العمل في بيتها ، تربية للرجال وصنعاً للأبطال ،ولذلك لم يكلفها الشرع بالواجبات الإجتماعية ، كما فعل مع الرجل ، وأيضا حتى يقل وجودها وحضورها في مجامع الرجال ، منعاً للفتنة ووقاية للجنسين معاً

فهذه صلاة **الجمعة** قد أمر الله بها وجعلها فرض عين على كل بالغ من الرجال .. ومع كل هذا فقد رخص للنساء في التخلف عنها ، و لم يلزمهن بالجمعة وأحكامها كما ألزم الرجل ..

... ومثل الجمعة **الجماعة** ، التي جعلت من أهم شعائر الدين الظاهرة المتكررة خمس مرات كل يوم ، ورغب الله فيها وأوعد بالعذاب على تركها ، جعل كل ذلك خاصاً بالرجل دون المرأة ، وذلك لأن المرأة أقرب ما تكون من ربها ، وإذا كانت في بيتها ، فبقدر بعدها عن الرجال ومجامعهم تكون قريبة من الله ورضاه .

وهذا **الجهاد** الذي جعله الله تعالى فرضاً على الرجال مهما كلفهم من متاعب ومشاق ومصاعب وتضحيات ، وجاء فيه من الترغيبات والبشائر ما يحمل المسلم على التطلع إليه والفوز بثوابه واقتحام ميادينه ..

لكن الشرع لم يوجبه عليهن ، و لم يسمح بخروجهن للجهاد ، لما قد يؤدي بروزهن واحتكاكهن بالرجل من شر وضرر ، وجعل لهن في الحج والعمرة غنىً عن الجهاد ..

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : ((قلت يا رسول الله ﷺ ! هل على النساء جهاد ؟ قال : نعم ، عليهن جهاد لا قتال فيه ، الحج والعمرة ، وفي رواية استأذنت النبي ﷺ في الجهاد فقال : جهادكن الحج والعمرة)) رواه أحمد والبخاري .

.. كذلك أعفاها الشرع من **الكسب والسعي في الأرض** ، للإنفاق على البيت ، وجعل مسؤولية ذلك على الرجل الزوج فهو القوَّام على المرأة،والعامل للكسب خارج البيت،وهو المكلف بنفقات البيت، وليس شيء من هذا واجباً على المرأة) [1]

تحذير المرأة من خروجها من بيتها : كما حذر النبي ﷺ من خروجها ، وبين أن أفضل مكان لها بيتها، وإن رخص لها في الذهاب إلى المسجد بشروطه لكنه جعل صلاتها في بيتها أفضل من الصلاة في المسجد ، فقد روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : (المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان) وفي رواية (وأقرب ما تكون من ربها إذا هي في قعر بيتها) ومعنى استشرفها الشيطان : زينها في نظر الرجال .

---

[1] – المرأة المتبرجة لعبد الله التليدي ص١٠٩- ١١١ ط بيروت دار ابن حزم ١٤١١هـ- ١٩٩٠ م .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال :(إن المرأة تقبل في صورة شيطان ، إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه ، فليعمد إلى امرأته فليواقعها ، فإن ذلك يرد ما في نفسه) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي .

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال : (صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها) وفي رواية للطبراني عن أم سلمة (وصلاتها في حجرتها خير من صلاتها في دارها وصلاتها في دارها خير من صلاتها في مسجد قومها) وفي رواية للإمام أحمد عنها أيضاً عن رسول الله ﷺ قال : (خير مساجد النساء قعر بيوتهن) .

وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال : (النساء عورة ، وإن المرأة لتخرج من بيتها ، وما بها بأس فيستشرفها الشيطان فيقول : إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبته ، وإن المرأة لتلبس ثيابها ، فيقال : أين تريدين ، فتقول أعود مريضاً واشهد جنازة وأصلي في مسجد ، وما عبدت المرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها) رواه الطبراني في الكبير .

لذلك أيتها الأخت المسلمة يا من تبغين رضاء الله سبحانه عنك ، وقد علمت ما في الخروج من فتنة وشر ، فالزمي آداب الإسلام واعلمي أن جنة المرأة بيتها ، وهو حصنها الحصين ومحل راحتها واستقرارها ، واستقرار زوجها وأولادها ، وهو خير حجاب وصيانة لها .

خروج المرأة من البيت والعمل في البيت : وقد أذن الرسول الكريم ﷺ بخروجها من البيت للضرورة ، كقضاء الحاجة ، كما كان النساء زمن الرسالة قبل أن تتخذ الكُنُفُ في البيوت . وأذن لهن بالخروج ليلاً للصلوات ، وكذلك للعيدين ، ولمداواة الجرحى وخدمة الأزواج إذا لزم الأمر . وللحج والعمرة ، وللعرس المنضبط ، ولتعلم أحكام دينهن ، وكل ذلك مع الحجاب والصيانة والستر ..

وكذلك شرع للمرأة العمل داخل البيت والقيام بمساعدة الزوج في داره وبستانه وشؤون أعماله بعيداً عن مخالطة الرجال ، وعن الفتنة ..

وإليك بعضاً من الأحاديث – أختي المسلمة – في هذا الشأن :

أ – بشأن الخروج للمساجد : روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد ، إذا استأذنّكم)وفي رواية (إذا استأذنّكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن) ولما صار بعض الفساد وسرى بين الناس بعد زمن النبوة قالت السيدة عائشة رضي الله عنها (ولو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء ، لمنعهن المسجد ، كما مُنعت نساء بني إسرائيل) رواه البخاري .

وبين لهن الرسول الكريم ﷺ إذا خرجن إلى المسجد أن يخرجن غير مستعطرات ولا متزينات بل (تفلات) برائحة ثياب البيت وأن يمشين بجانب الطريق ولا يزاحمن الرجال ، فقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، ولكن ليخرجن وهن تفلات) .

واختلط النساء بالرجال مرة في خروجهن من المسجد فقال ﷺ (استأخرن ، فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق ، عليكن بحافة الطريق) قال أبو سعيد راوي الحديث ؛ فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى أن ثوبها ليعلق بالجدار من لصوقها به .

ب – النهي عن خروجهن للأسواق : ويكفينا في هذا قول سيدنا علي ﷺ ،وقد رأى نساء الكوفة يخرجن للأسواق فقال : (أما تغارون) ألا تستحيون أن يخرج نساؤكم ؟ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج) والعلوج: كفار الأعاجم ، فماذا يقول سيدنا علي ﷺ لرجال ونساء اليوم . !!

ح – الخروج لتعلم العلم : وفي هذا ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله : ذهب الرجال بحديثك ، وفي رواية ، قال النساء : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه ، تعلمنا مما علمك الله ، فقال : اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا ، فاجتمعن ، فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله ، ثم قال : (ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجاباً من النار ، فقالت امرأة منهن يا رسول الله : واثنين ، واثنين ، واثنين ؟ ثم قال : (واثنين ،واثنين ، واثنين) رواه البخاري .

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خرج رسول الله ﷺ ومعه بلال فظن أنه لم يسمع النساء ، فوعظهن وأمرهن بالصدقة ، فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم ، وبلال يأخذ بطرف ثوبه .

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : (نعم النساء ، نساء الأنصار ، لا يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) .

وفي رواية للبخاري عن أنس ﷺ قال جاءت أم سُلَيم إلى رسول الله ﷺ فقالت له وعائشة عنده : يا رسول الله ! المرأة ترى في المنام ، فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه ؟ فقالت عائشة : يا أم سُليم : فضحت النساء ، تربت يمينك ، فقال النبي ﷺ لعائشة : (بل أنت تربت يمينك ، نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذلك) ومثله عن عائشة .

والأحاديث في خروج المرأة المسلمة لطلب العلم وسؤال الرسول المعلم ﷺ كثيرة في هذا الباب ؛ لأن تعلم المرأة دينها وما يحل لها وما يحرم عليها فرض ، فإن لم تجد زوجاً أو أباً أو ولياً يعلمها فلها الخروج ضمن آداب الشرع للتعلم .

إما إذا عريت عن آداب الإسلام من عدم الحشمة والتبرج ، فإنها في خروجها آثمة وعاصية لله مهما كان هذا العلم الذي تخرج لتعلمه ..

عمل المرأة داخل البيت وخارجه : المرأة بصفتها أنثى ، لم يكلفها الله بالعمل خارج البيت ، لتتكسب به ولتنفق على نفسها وتعول أولادها ، بل هذا مما كلف به الرجل ، وهو عمله الأساسي ، فهو صاحب القوامة والإمارة ، وهو العامل الكاسب ، والمكلف بالإنفاق [1] على أفراد العائلة ، من أب وأم وزوجة وأولاد ... وعلى الزوجة من الأشغال المترلية ، وتكاليف البيت ، مالا يقل عبئاً عن عمل الرجل خارج البيت ، فوظيفتها الطبيعية والأصلية ، مكانها البيت ، لأن وضعها الفطري يتطلب منها أن تكون كذلك ، فعليها إعداد الطعام ، وإصلاح الفراش والغطاء ، وغسل الثياب ، وتنظيف المترل ، وغسل الأواني، والعجن والخبز، يضاف إلى ذلك مشقة الحمل والولادة والإرضاع، والتربية والتعليم والقيام بشؤون الأطفال ... فهل يبقى لها مع هذه الأعمال والمتاعب ، فراغ وراحة للعمل خارج البيت ؟ كلا .

وعلى الرغم من أن الله تعالى جعل عملها الطبيعي الأصلي ، في بيتها ، وكلف الرجل بالنفقة عليها ، فلم ينهها عن التكسب والعمل ، إذا احتاجت إليه ، تحت ظروف ضرورية ، كما إذا كان بالزوج مرض ألزمه الفراش ، وليس له مساعد يقوم بشؤون الأسرة ، أو كانت هناك امرأة لا قائم لها .. في هذه الأحوال وغيرها من الضرورات ، قد يسمح الشرع لها بالعمل خارج البيت ، وبقدر الحاجة والضرورة ، على أن تتأدب بأدب الشرع ، سواء في مظهرها ، أو أسلوب معاملتها للرجال ، أو في البعد عن الاختلاط بالرجال .

وفي السنة المحمدية ، أمثلة لعمل المرأة داخل البيت وخارجه لحاجة ، وإلى الأزواج بعضاً منها : فعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت : تزوجني الزبير ﷺ وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء ، غير ناضح وغير فرسه ،

---

[1] – فهذه الأمور التي ذكرناها لا خلاف فيها بين المسلمين ، لتضافر النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية على ذلك .

قالت : فكنت أخدم الزبير خدمة البيت، فكنت أعلف فرسه وأكفيه مئونته ، وأسوسه ، وفي رواية :وأحتش لها ، وأدق النوى لناضحه ، وأعلفه ، وأسقي الماء ، وأخرز غَرْبه ، وأعجن ، ولم أكن أحسن أخبز ، وكان تخبز لي جارات لي من الأنصار ، وكن نسوة صدق، قالت : وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي ، وهي على ثلثي فرسخ قالت : فجئت يوماً، والنوى على رأسي ، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه، فدعاني ، ثم قال : (أخ ، أخ) ليحملني خلفه ، قالت : فاستحييت وذكرت الزبير وغيرته .. حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم ، فكفتني سياسة الفرس ، فكأنما أعتقني . [1]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : طُلقت خالتي ، فأرادت أن تَجُدَّ نخلها ، فزجرها رجل أن تخرج (لأنها معتدَّة) ، فأتت النبي ﷺ فقال : (بلى ، فجدّي نخلك ، فإنك عسى أن تصَّدقي أو تفعلي معروفاً) .[2]

وعن رائطة امرأة ابن مسعود رضي الله عنهما وكانت امرأةً صَناعَ اليد فكانت تنفق عليه وعلى ولده ، من صنعتها ، قالت : فقلت لعبد الله بن مسعود : لقد شغلتني أنت وولدك عن الصدقة ، فما أستطيع أن أتصدق معكم بشيء ، فقال لها عبد الله : والله ما أحب إن لم يكن في ذلك أجر أن تفعلي . فأتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ! إني امرأة ذات صنعة أبيع منها ، وليس لي ولأولادي ولا لزوجي نفقة غيرها ، وقد شغلوني عن الصدقة ، فما أستطيع أن أتصدق بشيء ، فهل لي من أجر فيما أنفقت ؟ قال : فقال لها رسول الله ﷺ : أنفقي عليهم فإن لك ذلك أجر ما أنفقت عليهم) .[3]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً) فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً ، قالت ، فكانت أطولهن يداً زينب ، لأنها تعمل بيدها وتَصَّدَّق .[4]

وعن علي ﷺ : أن فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحى في يدها ، وأتى النبي ﷺ سبي ، فانطلقت فلم تجده ، ولقيت عائشة ... الحديث [5]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة ، فأعطيتها إياها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته ، فقال ، (من ابتلي من هذه البنات بشيء ، كن له ستراً من النار)[6]

---

[1] – ورواه البخاري (ج ١١ص٢٣٤ ،٢٣٦) ، ومسلم (ج ١٤ص١٦٤ ،١٦٦) ، وأحمد (ج٦ ص٣٤٧) قال الحافظ : (والذي يظهر أن القصة كانت قبل نزول الحجاب ومشروعيته .. وهذه الواقعة وأمثالها كانت في حالة الضرورة ، فلا يَطَّرِدَ الحكم في غيرها ، من لم يكن في مثل حالهم ، وقوله غَرَبه : أي دلوه ، ناضح : الجمل الذي يستقى عليه .

[2] – رواه أحمد (ج٣ص٣٢١) ومسلم (ج١٠ ص١٠٨) ، وأبو داود (رقم :٢٢٩٧) وابن ماجة رقم : ٢٠٣٤) ، وغيرهم . قوله تَجُد: أي تجني نخلها .

[3] – ويقال لها ريطة : وهي غير زينب امرأته الوارد عنها حديث في الصدقة عليه وعلى أولاده أيضاً ، وهو في الصحيحين .

والحديث رواه أحمد (ج٣ص٥٠٣) من طريقين ، أحدهما سنده حسن . وقولها : (صَناع اليد) : أي حاذقة في صنعة يدها .

[4] – رواه مسلم (ج١٦ ص٨) وكان طول يدها كثرة صدقتها . وما جاء في (الزكاة) من صحيح البخاري) مما يدل على أن أسرعهم لحوقاً به سودة ، وَهَمٌ ، كما نبه عليه الحافظ .

[5] – رواه البخاري (ج٨ ص٧٤- ٧٥) وفي الدعوات ، ومسلم (ج١٧ص٤٥،٤٦) مطولاً

[6] –رواه البخاري (ج٤ ص٣٤،٣٣،٢٦) ورواه مسلم(ج١٦ص١٧٩) والترمذي (رقم :١٧٦١ بتهذيبي)وأحمد(ج٦ص٢٥٣،٢٦٦،٨٨) والرواية الثانية عند مسلم . وفي هذا الحديث فضل عظيم لمن يعول البنات ، وينفق عليهن ، وأن ذلك من موجبات الجنة .

وفي رواية : جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها ، فاستطعمتها ابنتاها ، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأنها ، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال : (إن الله قد أوجب لها بها الجنة) أو (أعتقها بها من النار) . [1]

فيؤخذ من هذا الأحاديث الشريفة أمور ، وهي كالآتي :

أولاً : خدمة المرأة لزوجها ، وقيامها بشؤون البيت وما يتصل به وذلك كما في حديث أسماء مع الزبير رضي الله عنهما وحديث الإمام علي في طحن فاطمة رضي الله عنهما .

ثانياً : تشغيل المرأة في بيتها في صنعة وعمل يدوي ،كالخياطة والغزل وحياكة ونسيج وغيرها . يؤخذ هذا من حديث عائشة بشأن زينب ، ومن حديث رائطة زوجة ابن مسعود .[2]

ثالثاً : مشروعية عمل المرأة خارج البيت ، إذا كان هناك ضرورة ، كمساعدة الزوج في بعض أعماله ، كما في حديث أسماء ونقلها النوى من أرض زوجها ، أو كانت ثيِّبةً فاقدة لمن يقوم بشؤون البيت ، كما في حديث جابر في قصة خالته ، أو تكون ذات بنات ، ولا تجد من يعولهن ، فلها أن تتكسب لهن ولو بالتسول ، كما في حديث عائشة مع المسكينة .

ويجدر بنا أن نلفت النظر إلى أن ما ذكرناه من العمل خارج البيت ، إنما يكون حالة الضرورة والحاجة الملحة ، ولا يكون مطرداً دائماً لكل امرأة وفي كل عمل ، ولو مع الاختلاط وعدم التقيد بقوانين الشرع ، كما هو الحال في وضع المرأة المعاصرة ، التي شاركت الرجل في كل أعماله ومظاهره ، حتى أصبحت رجلة ، فإن مثل هذا لا يقره الشرع ، بل هو ضلال وانحراف ، وسبب من أسباب شيوع الفتنة وخراب البيوت وانحلال الأسر ، بل نقول تكراراً إن عمل المرأة ، هو خلاف فطرتها ، وجناية على أنوثتها ،

وبذكرنا للحالات الطبيعية التي تعتري المرأة ، في فترات حياتها يتضح الصواب :

أولاً – الحيض : فعموم النساء يستمر فيهن الحيض ، مدة تتراوح بين ثلاثة أيام وسبعة ، حسب العادة الشهرية ، وتضطر المرأة هذه المدة ، لأن تأخذ راحتها ، وأن لا تكلف بأي عمل ، لما يطرأ عليها من تغيرات ، وحتى لا يتحول الحيض إلى نزيف– دم استحاضة — وبعد مدة الحيض يستحسن أن تأخذ المرأة نقاهة لمدة خمسة أيام ، على الأقل ، لتعوض جسمها ما خسره من القوة والغذاء والدم ، فصار مجموع الأيام التي يحظر فيها عمل المرأة ، حفاظاً على صحتها وحياتها ، ما يقارب خمسة عشر يوماً ، كل شهر ، علماً بأنه يجب أن تعد نفسها للحيض الدوري القادم . وأثناء الحيض يضطرب حال المرأة ، وتطرأ عليها تغيرات من سوء الهضم وقلة الشهية ، وغير هذا ، وتصاب بآلام في البطن والظهر، وصداع في الرأس ، وضعف في التفكير ، وانفعال وتغير في النفس والأخلاق ، مما يضعها في أجواء تفقدها أهلية العمل خارج المترل .

ثانياً – الحمل : وهو وظيفة هامة من وظائف جسم المرأة ، يبدأ منذ استقرار النطفة في الرحم ، وينتهي بالولادة ، في مدة تستغرق عند غالب النساء تسعة أشهر ، وتعرض المرأة فيها لأحوال وأوضاع مضطربة ، ففي الأشهر الثلاثة الأولى أيام الوحام ، يضعف جسمها ، ويتغير لونها وتقل شهيتها ، وتتعرض لغثيان وتقيؤ وضيق تنفس وخفقان في القلب وانحراف في

---

[1] - رواه البخاري (ج٤ ص٣٤،٣٣،٢٦) ورواه مسلم (ج١٦ص١٧٩)والترمذي (رقم :١٧٦١ بتهذيبي)وأحمد(ج٦ص ٢٥٣،٢٦٦،٨٨) والرواية الثانية عند مسلم . وفي هذا الحديث فضل عظيم لمن يعول البنات ، وينفق عليهن ، وان ذلك من موجبات الجنة .

[2] — ويؤخذ من هذا الحديث أن الزوج إذا كان قليل ذات اليد عاطلاً ، والمرأة ثرية لها أن تنفق عليه ، وإن كان ذلك خلاف المشروع ، لأنه حالة ضرورة .

المزاج وكسل وخمول . وقد تستمر هذه الأعراض حتى الوضع ، علماً بأن المرأة في هذه المدة ، معرضة للإسقاط لأي صدمة أو إزعاج أو مشقة . أما في الأشهر الأخيرة من الحمل ، فتتعرض لآلام الحمل المتزايدة كل وقت ، وتشتد وطأتها في المدة الأخيرة ، حتى لا تقوى المرأة على القليل من الحركة .

ثالثاً – الولادة والنفاس : لابد بعد تمام الحمل من تلك العملية الشاقة المؤلمة الخطيرة ، تتحملها المرأة وتصبر على شدتها وآلامها ، وفيها يترف الكثير من دمها عند ولادتها ، وبعد الوضع تدخل المرأة دور النفاس ، الذي هو استمرار نزيف دم النفاس ، ويستمر هذا الدور – عند غالب النساء – حتى الأربعين أو الستين يوماً ، تقضي المرأة هذه المدة في فراشها ، وهي على خطر جسيم ، حتى ينقطع الدم . وبعد هذا لابد من أيام أخر تستريح فيها المرأة .

رابعاً – الرضاعة والحضانة : يولد المولود عاجزاً عن كل شيء ، فتكون أمه هي يده ورجله ، وهي فمه وأنفه وسمعه وبصره ، وهي حسه وحركته ، تحضنه وتؤويه وتربيه ، تحمله بذراعيها وتضمه إلى صدرها وتلقمه ثدييها في جوار قلبها النابض بالحب والحنان ، وتناغيه بصوتها العذب ، وتشعر بالسعادة لسعادته ، وبالشقاوة لشقاوته .وتستغرق مدة الرضاعة هذه عامين ، يشاركها فيها رضيعها غذاءها من دمها ، ويفقدها الكثير من جمالها ونضارتها .

هذا بالإضافة إلى ما تقوم به الأم في البيت ، من أعمال ، لتوفر فيه الحياة السعيدة والجو المناسب لزوجها وأولادها ، فأنَّى للأم المرهقة بالعمل خارج البيت والانشغال بتكاليفه وتبعاته ومواعيده ومسؤولياته ، أن تقوم بذلك ؟!

وإذا تخطت ذلك ورمت نفسها في العمل ، أفلا يكون عملها كارثة عليها وعلى زوجها وعلى البيت والطفولة وعلى المجتمع والأسرة ؟!

وبالجملة ، فالجسم الذي يحيض ويحمل ويلد وينفس ويرضع ويحضن ، لا يملك الوقت والكفاءة ، لأن يشارك الرجل في جميع أعماله ، بل هذا يعد مستحيلاً في حق المرأة ، إلا أن تنقلب رجلاً ، وهذا أشد استحالة ، لأن الله خلقها أنثى كما خلق الرجل رجلاً ذكراً . ثم إن الحياة خارج البيت مليئة بالمتاعب والمصاعب والمشاكل والأهوال والمخاطر ، وفيها من الأعباء والأعمال ما تنوء بحملها الجبال ، ويحتاج إلى الشدة وقوة المعارضة ، مع هدوء الأعصاب والعدل في الحكم ، مع القدرة على التنفيذ والعزيمة الماضية ... وهذه صفات تغلب في الرجال وتناسبهم .

بينما الحياة البيتية تحتاج إلى رقة القلب وصفاء في النفس وحسن في المنظر وعذوبة في الحديث وأناقة ونعومة ، وهذه صفات تغلب في النساء وتناسبهن . [1]

---

[1] – هذا الفصل من باب (خطر التبرج والاختلاط) ص١٣٣-١٤٠ .